

المحاربات الروحية

ثيوفان الناسك

الكتاب الرابع

كنيسة مارجرجس باسبورتنج

المحاربات الروحية

ثيوفان الناسك (١)

الكتاب الرابع

الباب الثاني



(١) سجلها الأب نيقوديموس من جبل آثوس باليونان بتصرف وتوسع.

١

فى سر القربان كلى القداسة

حدثتك أولاً يا قارئي العزيز عن الأسلحة الأربعة اللازمة لغلبة الأعداء فى المحاربات الروحية وهى :

أولاً : عدم الاعتماد على النفس .

ثانياً : ثبات الرجاء فى الله .

ثالثاً : مقاومة الخطية والجهاد ضدها .

رابعاً : الصلاة .

والآن أريد بنعمة الله أن أضع في يدك سلاحاً قوياً آخر لهذه المحاربات الروحية ، وهو **سر القربان الكلي القداسة** . هذا السر المقدس هو الأقوي تأثيراً من كل الأسلحة الروحية . لأن الأربعة الأسلحة التى تحدثنا عنها تستمد قوتها من هبات النعمة ومعونتها المعطاة لنا بدم المسيح ، ولكن هذا السر هو المسيح ، جسده ودمه بذاته ، فيه يحضر السيد المسيح بنفسه كإله ، عندما نستخدم هذه الأسلحة الأربعة ، فنحن نحارب العدو بقوة ربنا يسوع ، أما في الحالة الأخيرة فإن ربنا يسوع يسحق الأعداء بنفسه فينا ، أو بالاشتراك معنا . لأن من يأكل جسد المسيح ويشرب دمه يتحد بالمسيح والمسيح به كما قال : **من يأكل جسدى ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه**

(يـــو ٦ : ٥٦) لذلـك فحينمـا نغـلب الأعداء ، فدم المسيح نفسه هو الذي يغلبهم كما هو مكتوب في سفر الرؤيا : وهم غلبوه بدم الخروف (رؤ ١٢ :١١).

سر القربان الكلي القداسة هو السلاح الغالب في كل الأحوال، أو بالحري هو حضرة يسوع المسيح له المجد .. ويمكننا الحصول على هذا السر المقدس عملياً بطريقتين: **الأولى** – وهي تختص بسر التناول المقدس في تقديس جسد المسيح ودمه ، بشرط الاستعداد اللازم ، أعني انسحاق القلب والاعتراف والنقاوة عن طريق التوبة وممارسة الصوم المفروض .

الثانية – داخلياً وخارجياً في العقل والقلب .

✣ الأولى يمكن استخدامها كلما سمحت الظروف الخارجية والحالة الداخلية وتقدير الأب الروحي وسماحه .

✣ والثانية يمكن أن تحدث كل وقت . فعليك أن تتسلح بهذا السلاح القوى دائماً وتشهره في وجه أعدائك . اصغ لكلامي، واشترك فى الأسرار المقدسة التى لربنا يسوع المسيح كثيراً بقدر الامكان ، ما دام قد تصرح لك من أبيك الروحي ، وليكن شوقك هو أن تشترك مع المسيح ربنا داخلياً وروحياً بدون توقف ، هذا ما أرشدتك إليه فى الفصول السابقة من الصلاة .

٢

الاشتراك فى القداس الإلهى

كي نصل إلى الغرض الذى من أجله نتناول من الأسرار الإلهية المقدسة ، ينبغي أن يكون لنا استعدادات معينة ، ونتمم تداريب خاصة ، ونمارس تداريب معينة قبل التناول وأثناء التناول وبعد التناول .

✢ قبل التناول علينا أن ننقى أنفسنا من كل نجاسات الخطايا ، بواسطة سر التوبة (الاعتراف) المقدس ، وتنفيذ كل ما يضعه علينا الأب الروحي من قوانين ، ويكون هذا مصحوباً بعزم أكيد لخدمة ربنا يسوع المسيح من كل القلب ، وكل النفس ، وكل الفكر وكل القوة ، وعمل كل ما هو مرضى عنده فقط .

✢حيث أنه في هذا السر يعطينا جسده ودمه ، ومعهما يعطينا نفسه ، وملء قوة نعمة تجسده . فعندما نفكر فى حقارة ما نعطيه له بالنسبة لسمو عطاياه لنا ، لا يسعنا إلا أن نعقد العزم من القلب أن نكون حارين فى كل ما نعمله لمجده . كل شئ نستطيع أن نقدمه له – مهما عظم ذلك الشئ – فلنظهر استعدادنا التام بأن نقدمه لعظمته بلا تردد .

✣ إن أردت أن تتناول من هذا السر كي تغلب بقوته أعداء الرب وأعداءك بل وتسحقهم سحقاً ، تأمل في الليلة السابقة ، أو من قبل ذلك ، في كم يريد مخلصنا ابن اللّه والذي هو الله ذاته ، أن تعطيه مكاناً في قلبك كي يتحد بك ويساعدك في طرد كل أوجاعك وشهواتك الردية، ويهزم معك كل أعدائك عندما تشترك في هذا السر .

هذه هي رغبة الرب ، التي هي من القوة بحيث لا يدركها عقل بشري ، لذلك كي تدرك ولو قليلاً من هذه المعرفة عليك أن تطبع في ذهنك هاتين الفكرتين :

أولاً : **فرحة اللّه الكلي الرحمة التي لا ينطق بها** عندما تشترك معه بإخلاص كما تقول حكمته المقدسة . لذَاتي مع بني آدم (أم ٨ : ٣٠) .

ثانياً : **مقدار كراهية اللّه الشديدة للخطية** حيث أنها تمنع اتحادنا معه ، الأمر الذي يشتهيه شهوة ، لأن الخطية تتعارض مباشرة مع كمالاته الإلهية . حيث أن طبيعته مباركة بصورة لا نهائية ، نور نقي ، وجمال لا ينطق به ، إنه يشمئز من الخطية التي هي شر مطلق ، ظلمة وفساد ، نجاسة وعار في نفوسنا . إن نفور اللّه من الخطية عظيم جداً حتى أن كل أعمال العناية الإلهية وكل شرائع العهد القديم والجديد موجهة منذ الأزل نحو إبادة

الخطية وإزالة كل آثارها ، لهذا السبب عينه كانت جراح مخلصنا يسوع المسيح وآلامه وموته على الصليب لأجلنا، يقول بعض معلمي اللاهوت : لو كانت هناك ضرورة فربنا يسوع مستعد أن يعمل في ذاته الموت مرات عديدة كي يبيد قوة الخطية .

الله يحارب عنك :

وإذ قد فهمت من هاتين الفكرتين شوق اللّه للدخول إلى قلبك، كي يحقق انتصاراً ساحقاً على أعدائك هناك ، سوف لا يبقى لك إلا رغبة واحدة وهي أن تقبله داخلك ، كي يتمم فيك هذا العمل فعلاً، فتمتلئ من شجاعة الإيمان، وثبات الرجاء . إن الملك السماوى مخلصك ، هو الذى يدخل إليك ويحارب الوجع الذي يضايقك بالأكثر ، الذي كنت تريد أن تهزمه وتسحقه بالكراهية والازدراء ، والاشمئزاز ، وفي نفس الوقت هو الذى يثير فيك الرغبة من أجل اقتناء الفضائل المضادة للأوجاع ، والاستعداد للقيام بالأعمال المطلوبة . ليكن هذا فكرك عشية التناول .

محاسبة النفس قبل التناول :

✣ حاسب نفسك في صبيحة يوم التناول عن المرات التى سقطت فيها ، وانحرفت ، وعملت الشر ، وما هى

خطاياك التي ارتكبتها من وقت تناولك الأخير حتى الآن . تذكر أيضاً الغباوة والعمى اللذين بهما ارتكبت كل هذه الخطايا كما لو لم يكن لك إله يدين ويجازى وهو يرى كل شئ ، وهو الذى تحمل من أجلك العذابات الشديدة والموت المر على عود الصليب لكى يخلصك من مثل هذه الأمور. تيقن أنك احتقرت هذا كله فى عملك الخطية ، ووضعت شهواتك المخزية فوق إرادة إلهك ومخلصك . ليغطى الخجل وجهك عندما تدرك مدى حماقتك ونكرانك للجميل . لا تدع نفسك تبتلع من كل هذه الاضطرابات ، وإياك واليأس فالرب ينتظر توبتك بطول أناة لا نهاية لها ، إنه ينتظر أن تظهر له استعدادك أن تخدمه وحده من الآن فصاعداً ، إنه يميل إلى الرحمة ، ويسرع إليك كى يسكب عليك رحمته وحبه الفائض الذي يغرق فى لجته عظيم نكرانك للجميل ، وقساوتك الحمقاء ، وقلة إيمانك هكذا اقترب منه بمشاعر عدم الاستحقاق **ولكن برجاء كامل وحب وتكريس** مهيئاً قلبك ليكون هيكلاً له . ودعه يمتلك هذا القلب كله .

وكيف يكون هذا ؟ **بإبعاد كل الرباطات الشهوانية من القلب ، وعدم التعلق بأى مخلوق ، وغلق أبواب الفكر عن أمور الدنيا لمنع أى شئ من الدخول عدا الله وحده .**

ضرورة التأمل بعد التناول :

✣ وبعد التناول من الأسرار المقدسة ، ادخل حالاً إلى أعماق قلبك السرية واعبد الرب هناك باتضاع وتكريس داخلى قائلا : « يا إله المراحم ، أنت ترى سهولة سقوطى فى الخطية لهلاكى ، وتعلم قوة الشهوات التى تهاجمنى وسيطرتها علىّ ، وعدم مقدرتى أن أحرر نفسى منها بذاتي، ساعدنى ، قوِ جهادى العنيف ، أو خذ أنت أسلحتى وحارب بدلاً عني ، كى تطرح عدوى القاسى بعيداً حتى النهاية » .

حينئذ اشكر الآب السماوى أبا ربنا يسوع المسيح وأبانا الذى من فرط وجوده دخل فيك مع ابنه عن طريق السر العظيم ، والروح القدس الذى ألهمك نعمته وأهلّك للتناول من جسد الرب ودمه ، وهو الآن يغدق عليك بانعاماته الغنية (بعد التناول) . قدم الحب للإله الواحد المعبود فى ثالوث أقدس لأنه أسبغ عليك لطفاً ورأفة ، اشكره شكراً لائقاً جزيلاً واظهر له عزمك الأكيد واستعدادك ورغبتك الحارة فى أن تقاتل خطيتك كتقدمة لجلاله على أمل غلبتها بقوة اللّه .لأنه بدون بذل كل المحاولات الممكنة من جانبك لتهزم شهواتك ، لا تأخذ أى معونة من اللّه . كذلك

لو اعتمدت على قوتك برعونة وغيرة وحماس سوف لا تحرز اى تقدم . كن غيوراً متحمساً ولكن انتظر الغلبة من اللّه فقط ، فتأتيك معونته بكل تأكيد. وتتقوى كل مجهوداتك الضعيفة ، وتنال نصرة ميسورة على كل شهواتك التى تحارب ضدها .



٣

التأمل فى سر القربان يضرم الحب

كى تلهب فيك حباً عظمياً لله عن طريق التعمق فى القدسات السمائية التى هى جسد المسيح ودمه ، حوّل أفكارك للتأمل فى الحب الذى أظهره لك أنت شخصياً فى القدسات لأن الهنا العظيم الممجد لم يكتف بخلقك على صورته ومثاله ، ولم يقف عند حد ارسال إبنه الوحيد ليعيش ثلاثة وثلاثين سنة على الأرض كى يخلصك عندما سقطت انت وأسأت إليه ، كذلك لم يقنع حبه بأن يفتديك فقط بآلامه المرعبة وموته الأليم على الصليب كى يحررك من أسر الشيطان حين استعبدك بالخطية ، ويردك إلى رتبتك الأولى ، بل وزيادة علي هذا كله وضع لك جسده ودمه كطعام وشراب كى تسرى فى طبيعتك كل قوة نعمة تجسده . تأمل هذا السر الأخير ، لتتذكر حب اللّه القوى لك واجعله موضوعاً تتفكر به دائماً بعمق حتي تري ملء غنى هذا السر الذى يغذى قلبك ويلهبه حباً وحنيناً لا يفتران نحو اللّه .

الله يحبك قبل خلقتك :

فكر فى الوقت الذى بدأ اللّه أن يحبك فيه ، فستجد

حبه لك بلا بداية ، لأنه أزلى بطبيعته الإلهية ، لذلك فحبه لك أزلى أيضاً . لأنه قبل كل الدهور أضمر أن يعطيك إبنه بطريقة عجيبة لا ينطق بها . وحين تتحقق هذا بنفسك تهلل بالروح واهتف صارخاً « حتى حينما كانت حقارتى فى اللاوجود ، كان اللّه يراعيني بحبه غير المحدود ، ويرانى فعلاً بسابق علمه وحبه الذى يفوق التعبير ، وقرر أن يعطيني إبنه الوحيد كطعام . فهل أسمح لنفسى بعد هذا بشئ غير أن أتحد به من كل الفكر ومن كل القلب ومن كل الإرادة ؟! » .

يا لعظمة هذا الحب :

فكر أيضاً فى أن الميل المتبادل والحنو بين المخلوقات مهما عظم ، فهو محدود ، أما حب اللّه فهو بلا حدود ، لذلك عندما لزم أن يحققه بطريقة خاصة ، قدم إبنه المساوى له فى العظمة والأزلية، لأنهما جوهر واحد وطبيعة واحدة . فكما أن حبه عظيم لأن الهبة كبيرة ، هكذا أيضاً هبته عظيمة لأن حبه كبير . فالحب والهبة كانا من الكبر والعظمة حتى أن فكر الإنسان لا يدرك شيئاً أكثر وأعظم منها . فقابل هذا الحب غير المحدود بكل حب وتقدير عليه .

أحبنا فضلاً :

تأمل أيضاً فى أن الله يحبنا هذا الحب ليس تحت ضرورة معينة بل من أجل حنانه ورأفته التى هى طبيعته . لقد أحبنا من جانبه مجاناً ، حباً يفوق القياس وكل فهم .

أحبنا رغم عدم استحقاقنا :

وتأمل أيضاً انه ما كان لنا استحقاق من جانبنا لهذا الحب ، بل أن الله الأبدى يقابل مسكنتنا وفقرنا المطلق بغنى حبه ، حتي أنه أحبنا لأنه ارتضى هذا وأعطى ذاته لنا نحن البائسين غير المستحقين .

ليس لأحد حب أعظم من هذا :

أنظر أيضاً وتأمل هذا الحب ، وكم يختلف عن حب الآخرين لنا ! ان محبة الله لنا لا يشوبها أى نفع ذاتى . لأن الله لا يحتاج أن يأخذ من خارجه شيئاً ، إذ هو الذاتى المملوء بركة ، محبته لنا ليست لأجل أى نفع أو كسب يريده منا ، بل هو يسكب من حنانه وحبه غير المنطوق علينا لأجل خيرنا نحن فقط .

التأمل فى المحبة الإلهية :

حين تفكر فى هذا لا يسعك إلا أن تصرخ فى ذاتك

قائلاً : «يا للعجب من هذا ، لقد وضع رب المجد قلبه علىّ أنا أحقر مخلوقاته ! ماذا تريد منى يا ملك المجد ؟ ماذا تتوقعه منى أنا التراب والرماد ؟ على ما أتيقنه الهى فى نور حبك الأبدى ، أن لجلالك إرادة واحدة هى التى تكشف لي حبك بالأكثر ، **وهى أن جلالك يشاء اعطاء كل ذاتك لى كطعام وشراب ، ليس لأى غرض سوى تغيير كيانى لك وتبديله فيك** ، ليس لأنك فى حاجة لأى شئ منى ، ولكنى أنا المحتاج إليك ، لأنك بهذه الوسيلة تكون فيّ وأنا فيك ، وبهذا الاتحاد معك ، أصير كما أنت ، أو بحسب ما تعبّر به الكلمات البشرية : عن طريق اتحاد قلبى الأرضى بقلبك السماوى يخلق فىّ قلباً الهياً واحداً».

✣ ستتعجب وتندهش حينما تفكر فى هذا ولكن ستفرح أيضاً إذ ترى اللّه يعتبرك كل هذا الاعتبار ويحبك بهذا المقدار ، فاعلم أنه فى حبه اللانهائى لا يطلب ولا يبغى منك شيئاً سوى أن توجه كل مشاعر حبك نحوه ، وهكذا يباركك وينقذك من كل رباطات الشهوات فى علاقاتك مع الخلائق أو مع نفسك ، لأنك ستستطيع آنذاك أن تقدم ذاتك كلها بأكملها محرقة لإلهك ، وتخضع له إرادتك وذاكرتك وكل حواسك .

التأمل يلهب فيك قلبك :

✢ إن كل موهبة أو عطية أنعم بها اللّه عليك من أجل حبه الأبدى الذى لا يحد كفيلة بأن تضرم الحب الإلهى فى نفسك ، وعلى وجه الخصوص نعمة التناول من القداسات المقدسة تجعل هذا الحب طبيعة فينا بقوة السر الإلهى . فتأمل فيه كثيراً ، وانظر إليه بعقلك ، افتح له قلبك وارفع منه الصلوات التقوية وتسابيح الحب قائلاً : « أيها الطعام السماوى ! متى تأتى الساعة التى ألتصق بك فيها وأبتلع ليس بنار غريبة ، بل بنار حبك ؟ ! .

أيها الحب غير المخلوق ، يا خبز الحياة ، متى أعيش لك، وبك وفيك أنت وحدك ، متى يا حياتى وبهائى وعذوبتى وأبديتى ؟ ! .

أيها المن السماوي ، متي أتحوّل عن الطعام الأرضى الآخر؟ ! متى لا أشتهى إلا أنت ، وأتغذى بك أنت وحدك ؟!.

يا خيرى السامى ، ياربى المحبوب البار ، متى تنزع من قلبى المسكين كل الارتباطات والميول الخاطئة ، وتزينه بفضائلك المقدسة وتملأه بالميول الصالحة التى تجعلنى أعمل بكل اخلاص كل الأمور من أجل مرضاتك وحدك ! ولخيراً أفتح قلبى لك رغم أنه لا يستحقك، أتضرع إليك بدالة المحبة ، ادخل فيه يا ربى لكى تزيل منه العوائق

وتكمل فيه كل أعمالك ، لأن هذا هو عملك فى النفوس المكرسة لك .

تأملات ليوم التناول :

✣ اقضِ ليلة يوم التناول وصباحه في مثل هذه الأفكار ومشاعر الحب ، وعندما تقترب ساعة التناول، تمثل فى ذهنك بأجلى وضوح ، مع اتضاع وحرارة قلب ، من هو الذى ستأخذه فيك ، ومن أنت الذى ستأخذه :

✣ إنه إبن اللّه المتسربل بمجد لا يدرك ، الذي ترتعد أمامه السماوات وكل قواتها ، إنه قدوس القديسين ، أبهى من الشمس ، نقاوته فوق كل إدراك ، بل إن نقاوة المخلوقات بأسرها تعتبر نجاسة بالنسبة له . من أجل حبه لك أخذ شكل العبد ، وارتضى أن يُحتقر ويُذل ويُصلب من خبث العالم الظالم ، وفي نفس الوقت لم يزل الهاً فى يده حياة كل العالم وموته ...

✣ ومن أنت ؟ أنت عدم ، وبفسادك وخبثك وشرك صرت أقل من العدو ، بل أرذا كل المخلوقات ، أضحوكة شياطين الجحيم ، أنت الشارد فى هواجسك الشريرة وشهواتك، قد احتقرت ربك العظيم المنعم عليك ، وبدلاً من تقديم الشكر للاله الكريم من أجل عطاياه الجزيلة ، دست دمه الثمين تحت قدميك ، وهو مسفوك من أجلك .

ورغم كل هذا فهو فى محبته التى لا تتوقف ولا تتغير يدعوك لعشائه الإلهى . أحياناً يتوعدك بتهديدات مخيفة كى تقترب إلى هذا السر ، منكراً إياك بكلماته التى قالها للجميع: **إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم** (يو ٦ : ٥٣) كما أنه لم يغلق باب مراحمه أمامك ولم يصرف وجهه عنك حتى وأنت فى خطاياك أنت الشقى الضعيف ، الأعمى المسكين ، عبد كل الشهوات والرذائل ! إن كل ما يطلبه منك هو :

١ – أن تتأسف فى قلبك لأنك قد أسأت إليه .

٢ – أن تشمئز من الخطية أكثر من أى شئ مهما كانت صغيرة أو كبيرة .

٣ – أن تسلم له ذاتك كلية وتهتم بأمر واحد فقط بكل حب واشتياق قلب – هو أن تخضع دائماً لإرادته من أجل طاعته طاعة كاملة فقط .

٤ – أن يكون لك إيمان ثابت فيه لا يتزعزع فى أنه سيرحمك وسيطهرك من كل خطاياك ، وسيحميك من كل أعدائك المنظورين وغير المنظورين .

وإذ قد تحصنت بالحب الإلهى غير المنطوق به اقترب من القدسات بكل خوف وحب قائلا :

« يا ربى أنا غير مستحق أن آخذك فىّ لأننى أغضبتك

كثيراً وكثيراً جداً بسبب خطاياى ولم أميت بعد كل ميولى الشريرة .

يا ربى ، أنا غير مستحق أن آخذك فىّ لأننى لم أنقِ نفسى من أهوائى ونزعاتى الرديئة غير المرضية أمامك .

يا ربى أنا غير مستحق أن آخذك فىّ لأننى لم استسلم بعد لحبك ولا لإرادتك وطاعتك بكل لخلاص . يا إلهى الكلى القوة ، أيها الخير المطلق ، تحنن علىّ واجعلنى أن أكون مستحقاً فى مراحمك وحنانك أن آخذك فىّ لكى أركض نحوك بإيمان » .

ذبيحة التسبيح من مذبح :

وبعدما ما تقترب من السر المقدس ، اغلق على نفسك فى أعماق قلبك ومخادعه السرية ناسياً كل الخلائق حولك ، أرفع إلى اللّه تسبيحاً بهذه الكلمات أو مثلها :

« أيها الملك السمائى العظيم ، لا شئ سوى حبك الفائق، أسئلك قلبى أنا غير المستحق . لأنى شقى ومسكين ، أعمى وعريان . أيها الحب غير المخلوق ، يا أعذب حب ! ماذا تريد منى أنا الفقير ؟ لا شئ كما أرى وأفهم سوى حبى لك ، لا شئ سوى أن لا تشتعل على مذبح قلبى أى نار سوى نار محبتى لك التى تلتهم كل هوى وكل محبة أخرى غير محبتك تجعل منى ذبيحة

محرقة لجلالك ورائحة بخور تدخل إلى عظمتك ، أنت لم ترد ولم تطلب منى شيئاً سوى هذا ، ولا شئ تريده وتطلبه منى الآن سواه . لذلك استمع يا رب الآن إلى نذور قلبى ! يا إلهى إنى أربط ارادتى بإرادتك ، وكما أنك أعطيتنى كل ذاتك هكذا أعطيك أنا كل ذاتى ، لتكون فيك كلية . أنا أعرف يا ربى أن هذا لا يمكن إلا عندما أتخلى عن ذاتى تماماً . لا يمكن أن يحدث هذا إن بقى فىّ أى أثر من حب الذات ، أو ضمرت أى شفقة أو ميل نحو إرداتى الخاصة أو أفكارى الذاتية أو أى عادة من عاداتى الدنسة . لذلك أريد واشتاق من الآن فصاعداً أن أعارض نفسى فى كل ما لا يوافق جلالك وأجبر نفسى على عمل ما هو مُرضى امامك ، حتى ولو لم يوافق كل ما بداخلى أو خارجى ، ليس لدى القوة من ذاتى أن أنجح فى هذا ، ولكن حيث انك من الآن معى فإننى على يقين بأنك ستحقق كل ما هو مطلوب . إننى أريد وأشتاق أن يكون قلبى واحداً مع قلبك ، واثق أن نعمتك ستهبنى هذا ... أريد وأشتاق أن لا ارى شيئاً ولا أسمع شيئاً ولا افكر فى شئ ، ولا أتلذذ بشئ إلا بحسب ما تقودنى إرادتك الصالحة نحوه وترشدنى وصاياك المنيرة إليه . وأثق أن قوتك العاملة فىّ ستهبنى هذا . إننى أريد وأشتاق أن لا يشرد انتباهى عن القلب حيث تسكن هناك، كى أراك هناك دائماً والتهب

بأشعة النور المشعة منك . واثق أن لمسة من يدك ستهبنى هذا . إننى أريد واشتاق أن تكون أنت نورى وسرورى من الآن فصاعداً ، واثق أنك تهبنى هذا بعملك الخلاصى فى إنسانى الداخلى . من أجل هذا أصلى وساصلى دائماً يا ربى الرحيم فهبنى هذا ».

ليكن استعدادك ناميا كل يوم :

حينئذ حاول أن تزيد إيمانك من يوم إلى يوم بواسطة هذه القدسات الكريمة لسر التناول ولا تكف عن التأمل فى سره المعجزى مفكراً فى كيف يعلن الله ذاته لك فى هيئة خبز وخمر ، ويكون حاضراً فيك من أجل أن يزيدك قداسة وبراً وبركة لأنه طوبى لمن يؤمن بدون أن يرى آمن على كلمات المخلص « **طوبى للذين آمنوا ولم يروا** » (يو ٢٠ : ٢٩) . لا تشتهِ أن يعلن لك الرب ذاته فى هذه الحياة بهيئة أخرى سوى هذه القدسات ، حاول أن توطن فى ذاتك رغبة حارة لهذه القدسات وتتقدم كل يوم فى الاستعداد الملتهب لتنفيذ إرادة الله فقط ، فى كل وقت تتقرب فيه إلى التناول من هذه النبيحة غير الدموية ، قدم ذاتك ذبيحة لله، أى اعترف باستعدادك الكامل فى أن تتحمل كل تعب وحزن وشقاء يصادفك فى حياتك من أجل حب الله ، الذى قدم ذاته ذبيحة عنك .

القديس باسيليوس الكبير يصف بصورة شاملة

واجبات المتناول على أساس كلمات القديس بولس « إن **الذين يأكلون جسد الرب ويشربون دمه يخبرون بموت الرب** » (١ كو ١١ : ٢٦) هذا الموت قد قاساه رب المجد من أجل كل البشر، وليكن هذا هو غرض المشتركين في التناول من الأسرار المقدسة « **كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام** » (٢ كو ٥ : ١٥) .

يجب إذاً على كل متناول أن يتقدم إلى هذا السر الرهيب باستعداد وحب وإيمان ولديه نية كاملة أن ينفذ الوصايا وكل إرادة يوضحها له الرب حتى لو اضطر إلى بذل حياته من أجل الله . يعيش لا لنفسه فيما بعد أى للعالم أو للخطية ، بل للسيد الرب الإله الذى أخذه فى سر التناول، الذى مات لأجله وقام أخيراً ، إذ قد أخذت الرب الذى قدم ذاته ذبيحة عنك فى سر التناول المقدس واشتركت فى قوة هذه الذبيحة ، فبعد تمجيد الله وتقديم الشكر لجلاله ، ارفع باسم هذه الذبيحة صلوات وتضرعات لأبيك السماوى عن احتياجات روحك ونفسك وجسدك ، وعن كنيسة الله وأسرتك ومعارفك . وعن نفوس الذين تنيحوا فى الإيمان ... ولأنك مشترك فى الذبيحة التى جعلها ابن الله رحمة لنا من الله الآب ، سوف تُستجاب هذه الصلوات بلا شك ، وسوف تكون ذات ثمر كثير .

٤

شركة الروح

لنا شركة معه :

إن الشركة مع الرب عن طريق تناول جسده ودمه الأقدسين ممكنة فقط فى أوقات محددة بحسب امكانيات الشخص واشتياقاته ولكن ليس أكثر من مرة فى اليوم . أما الشركة الداخلية مع الرب فى الروح فهى ممكنة كل ساعة وكل دقيقة أى بنعمته يمكنك أن تكون فى شركة دائمة معه . وتكون متيقظاً إن أراد هو الاتحاد فى قلبك كوعد الرب . إننا بالتناول من جسده ودمه نأخذه هو ذاته وهو يدخل ويسكن فينا بكل بركاته والقلب المهيأ له ينتبه لهذا . إن المتناول الحقيقى دائماً يكون فى حالة مباركة بعد التناول . حينئذ يشترك القلب مع الرب فى الروح ولكننا إذ تنعكس فينا صور كثيرة بواسطة الجسد وكما يحيطنا من نشاط خارجى وارتباطات ، يلزمنا أن نشاركك فيها . لذلك من أجل تشتت انتباهنا ومشاعرنا يوما بعد يوم تضعف شركتنا الروحية وتخبو وتختفى أحساس المشاركة مع الرب ويزول ، ولكن الاتحاد مع اللّه لا ينكسرما لم تدخل بعض الخطايا إلى داخلنا وتحطم حالة النعمة .

+ لا شئ يقارن ببهجة المشاركة مع الرب ، فالغيورون بالروح عندما يشعرون انها ضعفت يسرعون فى استرجاع ملء قوتها ، وعندما يسترجعونها ، يشعرون بأن انفسهم مشتركة مع الرب مرة أخرى . هذه هى الشركة الروحية مع الرب .

+ بهذه الطريقة تحدث الشركة فى الأوقات بين التناول من أسراره المقدسة ، ولكن هذه الشركة ممكن أن تكون دائمة بلا توقف نحو الرب . هذه هى عطية النعمة أيضاً وتوهب للشخص المجاهد فى طريق الرب إن كان حاراً وغير مشفق على نفسه .

حتى إن كان الإنسان فى شركة مع الرب فى الروح من وقت لآخر فهذه الشركة هى أيضاً من عمل النعمة . كل ما نقدر عليه هو أن نعطش ونجوع لهذه العطية ، ونشتاق بلهفة أن ننالها . هناك على أية حال طرقاً تفتح الطريق لهذه الشركة مع الرب وتساعد على اقتنائها . رغم أنه يبدو أن مجيئها يكون غير متوقع . هذه الأعمال هى الصلاة النقية ، بصرخات قلب مثل الطفل بالاضافة إلى أعمال خاصة عن انكار النفس فى ممارسة الفضائل عندما لا تكون هناك أى خطية منجسة للنفس ، ولا يكون أى فكر أو

شعور خاطئ يراودها (النفس) أى عندما تكون النفس نقية صارخة لله ، فماذا يمنع الرب الموجود والحاضرمعنا من أن يجعل النفس تتذوقه ، وأن تحتفظ بهذا المذاق طويلا؟ وهذا ما يحدث غالباً . ما لم يفضل اللّه من أجل خيرالنفس أن يطيل جوعها وعطشها له قبل أن يشبعها .

من بين أعمال انكار النفس التى يجب ممارستها لهذا الغرض الاتضاع والطاعة ، وجعل الإنسان نفسه تحت أقدام كل الناس ، واعداد الإنسان ذاته لأكتساب فضيلة احتمال الظلم بقلب سليم ، كل هذا هو روح التسليم بالاضافة إلى الخضوع الكلى لإرادة اللّه . هذه الأعمال تجعل اللّه يحب الإنسان أكثر من أى شئ آخر . والرب الحال فيه يسمح للنفس أن تتذوقه أيضاً . ثم إن تتميم كل وصايا الله تكون ثمرته مسكن الرب فى القلب « **الذى عنده وصاياى يحفظها فهو الذى يحبنى ، والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهرله ذاتى** » يو ٤ : ٢٣.لا ينبغى أن تخلط الشركة الروحية مع الرب بالتذكر الذهنى للتناول من الجسد والدم فى الأسرار . حتى ولو كان هذا التذكر يصاحبه أحاسيس روحية قوية واشتياق ملتهب للتناول المعتاد فى الأسرار المقدسة . ولا

يختلط أيضاً مع ما يحضره المصلين فى الكنيسة ويأخذونه حينما يرفع القربان . إنهم يأخذون تقديساً الهياً واحساساً بالشركة فى الذبيحة غير الدموية بالإيمان استعداداً وميلا لتقديم ذواتهم لمحبة الله . ويأخذون على مقياس هذه التدابير . ولكنها ليست كالشركة فى الروح . رغم أنه ممكن أن يحدث الشركة هنا أيضاً .



٥

فى تقديم الشكر لله

اشكر على كل شئ :

كل بركة نملكها وكل عمل صالح نعمله هو من اللّه، فالواجب علينا إذاً أن نقدم الشكر من أجل كل شئ من أجل كل بركة نأخذها من يديه الطوباويتين ، سواء البركات المنظورة أم غير المنظورة ، من أجل عمل صالح ومن أجل كل عمل صالح ومن أجل كل جهاد صالح ، ومن أجل كل نصرة نحرزها على أعداء خلاصنا كما أوصانا الرسول بذلك «**اشكروا فى كل شئ هذه هى مشيئة اللّه في المسيح يسوع من جهتكم**» ١ تس ٥ : ١٨ . لذلك اجتهد أن تحفظ مشاعر الاعتراف بالجميل للّه (كما يقول القديس يوحنا فم الذهب) حارة فى قلبك من أول لحظة تستيقظ فيها من نومك وطول النهار وانهب لتنام وكلمات الشكر على شفتيك لأنك مغمور فى البركات الإلهية ويعتبر النوم واحدة منها . إن اللّه لا يحتاج إلى شكرك ، ولكنك أنت محتاز إلى البركات الإلهية . ومكان أخذ وتخزين هذه البركات فيك هو قلبك المعترف بالجميل . يقول القديس يوحنا فم الذهب « أحسن طريق

للمحافظة على احسانات الله . هو أن تتذكر احسانه وتشكره عليها باستمرار ، وكتب القديس مار اسحق يقول :

+ إذا اعترف الإنسان بالجميل يشجع المعطى أن يمنح مواهب أعظم من الأولى .

+ الذى لا يحمد على القليل سيخيب أمله إن طلب الكثير.

+ ليست موهبة بلا زيادة إلا التى (بلا شكر) ينقصها الشكر .

والقديس باسيليوس الكبير يضيف إلى هذا تحذيرات نافعة فيقول ، إن لم نقدم شكراً عن البركات التى يعطيها الله ، يلزم أن ينزع هذه البركات منا كى نعرف أنفسنا . كالعين التى لا تقدر أن تنظر إلى ما هو قريب إليها جداً . بل تحتاج إلى مسافة مناسبة ، هكذا النفوس غير الشاكرة عندما تنزع منها البركات تنتبه إلى المراحم الأولى . بينما لا يشكرون المعطى حينما ينعموا بعطاياه ، يحنون إلى الماضى الذى تركوه .

وإذ تعى كلامى ستسأل : كيف أثبّت مشاعر الحمد فىّ دائماً ؟ افحص كل احسانات الله للبْشرية جميعاً – لجنسنا – ولك أنت ذاتك وتفكر فيها باستمرار واجمعها

إلى ذاكرتك وإن كان لك قلب ، سوف لا تتأخر عن الشدو بشكر لله » .

انظر كيف تشكر الله :

ستجد نماذج لهذه التسابيح فى الصلوات وفى كتابات القديسين . اسمع كيف يصف **القديس باسيليوس الكبير** احسانات اللّه نحونا إذ يقول :

✢ « جاء بنا من العدم إلى الوجود ، خلقنا على صورته، زودنا بالعقل والنطق الذى يحوى كمال طبيعتنا ، وأعطانا علم معرفته ، وكل جمال الخلائق ككتاب مفتوح أمام الغيورين على معرفة اللّه يبين لهم عظمته ،عنايته بكل شئ وحكمته . والطبيعة ذاتها تعلمنا أن نختار ما هو مفيد ونتحوّل عن ما هو ضار وإذ قد ابتعدنا عن اللّه بالخطية ، دُعينا مرة أخرى للاشتراك معه ، لنتحرر من عبودية الخطية المرة بدم ابنه الوحيد، وماذا بعد عن رجاء الخلاص . ومباهج النعيم الملائكى . ماذا عن ملكوت السموات والبركات المنتظرة الموعود بها التى تفوق الألفاظ والإدراك » .

اقرأ هذه الكلمات من احسانات اللّه نحونا واختر أقوالاً

أخرى مـن أقوال الآباء أو ركّب أنـت قولاً من نـفسك حـاوياً كل بركات الـلّه التى أغدقها علـيك أنت شخصياً . كررها دائمـاً بـالألفـاظ وفـى الفكـر ، لـيس فـقط كـل يوم ، ولـكن لمرات عديدة فـى اليوم وسيكون لديـك مشاعر الحمـد نحو اللّه دائماً ولكن بمجرد أن يظهـر شعور لا يحتمل أن يكون مكتوماً : إنه يبحث عن ايضاح وتعبير فكيف تعبر للّه عن مشـاعر حمدك له ؟ إذ أحـاطك ببركاتـه . إن اللّه يريدك أن تتذكره دائماً حينما يحيطك بعطاياه السخيـة وماذا يريد اللّه ؟ إذ أحاطك ببركاته .

إن الـلّه يريـدك أن تـتـذكـره دائمـاً حـيـنمـا تـرى تلـك البركات لذلك تذكره .

إنه يريدك أن تستسـلم له بكليتك . لذلك سلم له ذاتك .

إنه يريدك الا تقاوم ارداته فى أى شـئ تـعمله وأن تشـتاق أن ترضيه فى كل طرقك – لذلك افعل هكذا .

إنه يـريدك أن تـعتمـد علـيه هـو وحده فـى كل الأمـور . لذلك اعتمد عليه .

إنه يـريدك أن تذكـر المـواقف الكـثيـرةالـتى اسـأت فيـها للمحسـن إليك بأعمالك الشريرة المخزية لكى تمتلئ ندامة

ونوبة ودموع ، حتى تنصلح مع ضميرك وتأخذ تأكيداً أن الله قد صفح عنك . لذلك افعل هكذا .

أما ترى اتساع مجال تقديم الشكر ، وتعدد الوسائل لتكميل هذا الواجب ؟ اعرف من هذا كيف أن خطية المتهاونين فيه كبيرة. واحذر أن تتلوث ذاتك بهذه الخطية . إذا كان الجحود بين الناس يدعى ظلماً ، فأى كلمة نجدها للجحود لله . لذلك احترس دائماً واحتفظ بمشاعر الحمد لله حارة فى نفسك باستمرار ،لا سيما فى الكنيسة أثناء القداس عندما ترفع الذبيحة غير الدموية ، التى تدعى القربان ، إلى الله ، لأن التناول سُمى أيضاً سر الشكر . ولا تنسى هنا أن الشكر الوحيد المستحق أن تقدمه لله هو استعدادك الكامل أن تقدم ذاتك وكل ما تملك ذبيحة لمجد اسمه القدوس .



٦

فى التسليم لمشيئة الله

عندما يتوب انسان يسلم نفسه كلية لخدمة اللّه ، ويبدأ على الفور هذه الخدمة بالسلوك فى وصاياه وارادته هذا العمل يبدأ فى (عرق الجبين) . إن الوصايا ليست صعبة في حد ذاتها ولكن هناك عقبات كثيرة لتنفيذها ، فى ظروف الجهاد الخارجي ، وبالأخص فى ميوله (الإنسان) وعاداته الداخلية . لكن المجاهد القوى يغلب كل شئ بمعونة اللّه ويصل فى النهاية إلى السلام الداخلى وتسود السكينة فى كل ذاته وأموره . إن المجاهد يعمل بنفسه إنه بالرغم من كل محاولاته لإجراء أى شئ صالح يجرى فيه لا يكون هو بل قوة أعلى منه . وكلما تقدم فى الروحيات كلما رسخ هذا الاعتماد عنده وتأصل فيه جداً وعندما يحلّ فى الداخل سلام بشئ يشتد هذا الامتناع ويتحول إلى عقيدة ويصل فى الكاملين إلى التسليم الكامل لإرادة اللّه والخضوع الكلى لتأثيره . (يبدأ تأثير اللّه فى العمل فى أولئك الذين يجاهدون من أجل الخلاص من أول لحظة تحولهم إلى اللّه وهوالذى يحدث التحول ذاته) ويظهر اثر

هذا التأثير واضحاً كلما تحول المحاورب أكثر فأكثر من ذاته واستسلم للّه متحققاً أن كيانه لا يكون إلا فى الثقة بقوة اللّه . وعندما يسلم نفسه للّه كلية فى النهاية يكون حضور اللّه فيه ذات فاعلية ، سواء فى ارشاده عما يجب أن يعمله أو فى انجازه . هذه هى قمة الكمال المسيحى **«لأن اللّه هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا»** فى ٢ : ١٣ . كما قيل منذ البدء أن بذرة هذا الكمال كائنة فى عدم الاعتماد على النفس والرجاء باللّه .

إن ما يحويه جوهر التسليم الكامل لإرادة اللّه يمكن معرفته حينما يتضح فى قوته . إنه يأتى من نفسه ولا يوجد هنا قواعد معينة لبلوغه ، لذلك مستحيل أن نقول : أفعل هذا أو لا أفعل تلك وستناله انه ينمو أن تشعر فى حالة عدم الاعتماد على الذات والرجاء باللّه ، لقد ذكرتها هنا مختصرة ببساطة لأنها ذكرت فى مكان آخر . وما قيل فى نهاية الفصل السابق فى تقديم الإنسان نفسه ذبيحة للّه فرصة لتذكره الآن . فالتسليم الكامل لإرادة اللّه هو تقديم الإنسان نفسه ذبيحة للّه .

التسليم فى حياة الرب على الأرض :

وبرهان هذه الحالة هو الموت عن الذات – عن الإرادة

الذاتية والرغبات والمشاعر والمذاقات الغريبة كي نعيش في الادراك الإلهي ، بحسب إرادة اللّه ، وفي شركة معه . وقد مارس مخلصنا حياة التسليم . لقد أسلم ذاته كليه للّه الآب . ونحن فيه لأننا **أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه** (أف ٥ : ٣٠) لذلك فلنسرع في إثر خطواته حيث قدم للّه الآب قداسة من أجلنا (يو ١٧ : ١٩) كي نكون على مثاله ونعمل هكذا .

لماذا صنعت هذه الذبيحة في النهاية ، وليس من البداية؟ لأن تقدمة اللّه ينبغي أن تكون كاملة بلا عيب ولأن الكمال يفتكر فيه في البداية ولكن لا يتوصل إليه . ولكن عند بلوغه في النهاية ، من المناسب تقديم الذات كذبيحة . ولا يكرس الإنسان نفسه لهذه الذبيحة ، ولكن في النهاية يقدم ذبيحة نفسه . حقاً إنه مستحيل أن يقدم الإنسان نفسه ذبيحة محرقة قبل بلوغه الكمال . يمكن تقديم تقدمات أخرى مثل تقدمات المصالحة ،تقدمات النقاوة والشكر ، ولكن ليست تقدمة المحرقة . يمكن للشخص أن يسعى لبلوغها . ولشخص أن يتحدث عنها ولكنها تكون كلاماً وليست فعلاً عملياً . لأن هذا الفعل يتم بلا كلام .

العقبات في طريق التسليم :

اعلم أنك ما دمت مرتبطاً بأمر أرضي ، ما دمت

مستنداً على شئ (خارج نفسك) غير اللّه . ما دمت تجد تعزية فى مخلوق آخر وتلتذ به ، فأنت غير مناسب لذبيحة المحرقة . حاول أولاً أن تترك كل هذا . أوقف كل حياة فيك ولا تبقى إلا حياة واحدة - حياة اللّه - أى لا تعش أنت فيما بعد بل اللّه ربنا يسوع المسيح والروح القدس يعيش فيك - حينئذ اصعد ذاتك ذبيحة للّه . وإلى أن يحدث هذا قدم للّه روحاً منسحقة ، قلباً منكسراً متواضعاً واقنع بهذا لفترة معينة ولكن ليس إلى الأبد لأنك فى النّهاية عليك أن تقرب ذاتك كلية كصعيدة طاهرة للرب .



٧

فى حرارة القلب وفى برودته وجفافه

الوجود في حضرة الله :

حرارة القلب ثمرة الشعور بالله وبكل شئ إلهى ، إنها تولد من وقت رجوع الإنسان إلى الله فى التوبة وفى أثناء القيام بأعمال التوبة لنقاوة القلب . وتتقوى أكثر فأكثر . مشاعر حرارة القلب التى تأتى من وقت لآخر بصورة متقطعة تصبح دائمة بالتدريج ، حتى تصبح حالة دائمة فى القلب . عندما قال القديس يوحنا الدرجى « ليكن اشتياقك دائماً أن يكون لديك شعوراً بالله وبالأمور الإلهية» كان يعنى هذه الحرارة . كل شئ يبعث فى القلب سروراً يدفئه أيضاً . لذلك فحرارة القلب يمكن أن تكون على أنواع كثيرة : حرارة روحية تتولد من تأثير الأمور الروحية على القلب ، هذا ما يحدث فى نظام حياتنا الروحية وسمتها المميزة هو ترك الأشياء المخلوقة عندما يسبى العقل كلية فى الله والأمور الإلهية هذه السمة تبعد القلب عن الحرارة المتولدة عن مشاعر النفس والجسد كى تبعد السماء عن الأرض .

من أين تأتى حرارة القلب :

إن شعور الحرارة الروحية فى القلب شعور مركز وبسيط ولكنه فى جوهره محصلة حركات روحانية كثيرة منصهرة معاً . كما أن شعاع النور يتركب من سبعة ألوان الطيف المندمجة معاً . إنه يحوى خشوع ووقار، انسحاق قلب ، سجود دائم أمام اللّه فى العبادة ، واشتياق غير متناهى ، وحب غير محدود للّه . وحيث أنه لا يمكن أن تأتى هذه المشاعر كلها في القلب مرة واحدة ، فالحرارة الروحية تتولد فى القلب شيئاً فشيئاً .

وحتى تصير حرارة القلب حالة دائمة تروح وتجئ . إما تأتى من نفسها لافتقاد سماوى أو تكون ثمرة لتداريب روحية – قراءة ، تأمل ، صلاة ، أعمال انكار نفس وأعمال صالحة . وهى تفتقد عندما يشرد العقل عن الأمور الروحية تابعاً هوى قلبه فى أمور غير روحية متلذذاً بها ، فإن هذا يطفئ الحرارة الروحية كما تطفئ المياة النار .

هل تريد أن تحافظ على هذه الحرارة الروحية فى قلبك ؟

✣ ركز انتباهك فى الداخل وقف مصلياً فى قلبك أمام اللّه ، لا تسمح لأفكارك أن تشرد مشتتة عقلك .

✣ لا تجعل اى جانبية بينك وبين أمور النفس والجسد تدخل إلى قلبك اقطع عنك كل الاهتمامات وكل القلاقل فى بدئها .

✣ اجعل غيرتك لإرضاء اللّه دائمة الحيوية ، كذلك خلاص نفسك ، فى الأمور الخارجية . راع التدبير المعقول ووجهها جميعاً نحو هدفك الرئيسى وحينما تفكر فى أمر من الأمور لا تحمل فى ذهنك الاهتمام بالبواقى . ولكنى اضيف إنك إذ قد اختبرت هذه الحرارة مرة ولا يمكنك إلا ان تتشوق للاحتفاظ بها وعند ذلك تتوق وتستخدم كل وسائل مناسبة لهذه الغاية ، وباستخدامها ستعرف افضلها .

✣ إن قمت بهذا العمل بافراز جيد ستكون الحرارة الروحية هى مرشدك الموثوق به ، تعلمك كيف تتحكم فى حياتك الداخلية وكيف تتصرف فى الشئون الخارجية ، وتتحكم فى تدبيرك كله ، كى تحتفظ بهذا الشئ نفسه .

أسباب الفتور وبرودة القلب :

كما ان وجود الحرارة الروحية فى القلب يسبب عذوبة مطلقة ، كذلك عدم وجودها أمر اليم غير محتمل ومرعب. قيل من قبل إن الحرارة الروحية تذهب من

القلب حين يحيد الانتباه والقلب عن الأمور الروحانية ويميل نحو أمور غير روحية وقد تكون أمور غير خاطئة – لأن الإنسان الذى قد ذاق الحرارة الروحية لا ينجذب بعد الخطية تلك لا أقصدها بل أقصد ما يدخل فى دائرة النفس والجسد من أمور أرضية ، وأباطيل فمجرد أن يميل (القلب إليها) الانتباه إليها ، تتناقص الحرارة الروحية سريعاً ، ولكن حينما ينجذب القلب لها أيضاً تتلاشى الحرارة الروحية تماماً . تاركة وراءها برودة نحو كل الأشياء الروحانية ونحو اللّه ذاته مصحوبة بلا مبالاة لكل (الأشياء) الأعمال والواجبات الروحية التى تمارس بغرض وبهذه الحرارة . فإن استجمع الانسان نفسه على الفور وأسرع فى إقامة التدابير التى تنتج عنها الحرارة الروحية، تعود هذه الحرارة بسرعة . ولكن إن اهملها ، ومن أجل تشتته سلب عقله بأمرها لاعتماده على النفس. قد يتعمد أن تتباطأ نفسه فى مجال التوانى ، لا سيما أن أقدم على مخاطرة ارضاء الهوى غير الروحى الذى قام من موته عندما اعتزم الحياة مع اللّه ، وتخبو غيرته الروحية ذاتها إن لم تمت كلية . والحالةالأخيرة سابقة للسقوط فى الخطايا القديمة المعتاد عليها التى لا تقتصر عن غلبة الكسالى . ولكن إن جمع الإنسان نفسه لا يجد صعوبة فى الرجوع إلى حالته الروحية حتى من هناك .

هذا هو السبب الدائم للبرودة ، إنها غلطتنا نحن ، حيث إنها ناتجة عن ضعف الحرص واليقظة على ذواتنا . هذا الضعف يحدث إما عن طريق بيئة الأنسان العالمية وما يحيط به عندما تسلب أباطيل العالم لب الأنسان ، وتخطفه عن ذاته ، أو من حيل العدو التى تخترع الوسائل كى يحمل الإنسان على الخروج من داخل ذاته ، حيث ينجح أحياناً بمجرد إضافة صوره الجذابة لتيار الصور والهواجس الطبيعية ، وأحياناً بالتأثير على الجسد بطريقة ما . ولكن مهما كان السبب ، فإن عمل البرودة يبدأ باخراج الانتباه من أعماق الإنسان الداخلية ، واستعمال البرودة يكون من استمالة القلب لشئ ما باطل وفارغ أولا ، بعد ذلك شهوانى وخاطئ وفى كل الحالات إنها غلطة الإنسان . لأنه لا العالم ولا الشيطان يقدر أن يتعدى حرية الإنسان .

أحياناً تكون البرودة من عمل النعمة . فى التعبير المضبوط ، الحرارة الروحية هى ثمرة حضور النعمة فى القلب . عندما تأتى النعمة يلتهب القلب ، وعندما تذهب يبرد . النعمة تترك الإنسان أيضاً عندما ينجذب إلى أمور خاطئة ، وفى هذه الحالة تدعى برودة عقابية (أى عقاباً للانسان) . ولكن أحياناً تنسحب النعمة بمشيئتها

الخاصة لغرض مساعدة خدام الله فى تقدمهم الروحى ، وفى مثل هذه الحالات يكون الانسحاب ويدعى بناء (أى لبناء حياة الانسان روحياً) . ولكن فى هاتين الحالتين النتيجة ما زالت واحدة - برودة - شعور بفراغ فى القلب لأن الضيف والزائر قد رحل .

الفرق بين هاتين الحالتين : إن البرودة عن ذنب تضعف الغيرة للحياة الروحية بينما البرودة الروحية البناءة الناتجة عن انسحاب النعمة تلهب الغيرة بأكثر شدة وهذه أيضاً إحدى أغراض هذا الانسحاب .

تنسحب النعمة الإلهية بمشيئتها الخاصة بغرض البناء للأسباب الآتية :-

- ✣ كى تنشط الغيرة التى تفتر أحياناً خلال فترة سكون طويلة .
- ✣ كى يمتحن الإنسان وضعه بحرص أشد ويرفض الارتباطات والانشغالات التى لا تتصل مباشرة بالحياة المُرضية عند الله ولا توصل لها .
- ✣ كى تزيد وتقوى شعورنا وإحساسنا بأن كل خير فينا ثمرة لعمل نعمة الله .

✣ كى تجعلنا نقدر بصورة أفضل عطايا اللّه المقبلة . ونحرص على الأحتفاظ بها ونتضع أكثر .

✣كى تجعلنا نستسلم بأشد اخلاص ليدى العطايا الإلهية، مع انكار كامل للنفس واحتقار لها .

✣ كى تركزنا ليس فى الارتباط بالمباهج الروحية ذاتها ويهذا ينقسم قلبنا إلى اثنين ، ربما ان اللّه يريد القلب أن يلتصق به كلية وبه وحده .

✣ كى تمنعنا عن أن نتوقف عن جهادنا حينما تعمل فينا النعمة الإلهية ، بل نكن بلا غفوة فى طريق اللّه مدربين كل قوانا التى منحها لنا في عرضها المضبوط .

هكذا حتى وإن كانت البرودة نتيجة للانسحاب بناء على رغبة من نعمة اللّه فأنت نفسك هو السبب فى هذا لأنه بالرغم من أن انسحاب النعمة تم بمشيئتها الخاصة ولكنها تنتظر إليك ، لذلك حينما تشعر ببرودة تجاه الأمور والانشغالات الروحية ، ويكل الأشياء الإلهية بوجه عام فادخل إلى أعماق نفسك وافحص جيداً لماذا حدث هذا، فإن كانت غلطتك أنت شخصياً اسرع فى محوها وإزالة آثارها ، ليس من أجل أنك تواق للمباهج الروحية

ولكن بالأحرى لأنك تريد أن تحطم في ذاتك كل شئ لإبليس ولا يرضي الله . إن لم يحدث شئ من هذا النوع استسلم لمشيئة الله قائلا لنفسك « قد أراد الرب هذا ، فلتكن مشيئتك فيَّ ياربي أنا الضعيف غير المستحق » حينئذ اصبر وانتظر ، ولا تسمح لنفسك أن تحيد عن تدابير حياتك الروحية وأعمالك وتدابيرك تغلب على عدم تذوقك لها - ذاك الذى داهمك - يغصب ذاتك على ممارستها غير ملتفت إلى الافكار التى تحاول أن تشتت محاولاتك بالقول إن هذه الأعمال عديمة الفائدة ، اشرب كأس المحرقة الذى لك برغبة قائلاً للرب « انظر إلى تواضعى وجهادى يا ربى ولا تبعدنى عن رحمتك » ولتكن هذه الجهادات ملهمة بالإيمان إن هذه الكأس تأتى من حب الله لك ، لأنه يريدك أن تصل إلى كمال روحانى أعظم .

المثابرة فى الطريق :

اتبع بسرور أثر خطوات الرب على جبل طابور ، ولكن أيضاً إلى الجلجثة ، أى ليس حينما تشعر بالنور الإلهى والأفراح الروحية والعذوبة فى داخلك فقط ولكن أيضاً عندما تداهمك المتاعب والأحزان والضغطات والمحقرات التى تختبرها النفس فى أوقات التجارب من الشياطين داخلياً وخارجياً . حتى وإن كانت هذه البرودة مصحوبة

وممتزجة بتلك الكلمة التى لا تعرف فيها ماذا تعمل وإلى أين تلتفت ، لا تخف ، قف ثابتاً فى مكانك ، واستمر حاملاً صليبك وابعد عن ذاتك كل التعزيات الأرضية التى يقدمها العالم ويختارها الجسد ويلقنها العدو . حاول أيضاً أن تخفى تعبك عن كل الآخرين ولا تتحدث به لأى شخص سوى أبيك الروحى وهذا ليس لتشتكى من الشدة التى حلت بك بل لتلتمس إرشاداً منه عن كيف تتجنبها فى المستقبل وكيف تحتملها بقلب راضٍ الآن وإلى ما شاء اللّه من وقت الذى يريده اللّه لك .

استمر فى ممارسة صلواتك ، وتناولك ، والتداريب الروحية الأخرى كالعادة ، ولكن ليس من أجل المباهج الروحية ولا لكى تنزل من على صليبك الحالى ، لكن لكى تنال قوة لتبقى مستمراً فى حمل هذا الصليب بنفس غير منزعجة لمجد المسيح ربنا المصلوب لأجلنا لنعيش ونعمل دائماً كما يرضيه . إن كانت حالتك فى بعض الأوقات لا تسمح أن تصلى ويستحيل أن تكون أفكارك صالحة . فكما عملت سابقاً بخصوص الظلمة العظيمة والبلبلة فى فكرك ،اعمل كل هذا بقدر إمكانك ، ما دمت لا تعمل برخاوة وكسل فالذى ينقص عن كمال التنفيذ يحسب كأنه عمل كامل من أجل رغبتك وجهادك وطلبك . ابق فى هذه الرغبة وفى هذا الجهاد وفى هذا الطلب

وسترى ثمارها العجيبة ، سترى انتعاشاً وقوة يملآن نفسك .

أقدم لك هنا مثالا عن كيف تدعو اللّه فى مثل هذه الأوقات التى يكون فيها العقل مظلماً . تضرع إليه قائلا «لماذا أنت منحنية يا نفسى و لماذا تئنين فى . ترجى اللّه لأنى بعد أحمده خلاص وجهى الهى » مز ٤٣ :٥ . «يارب لماذا تقف بعيداً ؟ لماذا تختفى فى أزمنة الضيق (أو ضيقي) مز ١٠ : ١ . «لا تتركنى يارب ، يا الهى لا تبعد عني» مز ٣٨ : ٢١ . متذكراً كيف ألهمت سارة زوجة طوبيا المحبوبة ، من اللّه أن تصلى فى ضيقتها صارخة « هذا هو اليقين عند كل الذين يعبدونك أن من يحيا بتجربة يتوج ، ومن أحاطت به شدة يتخلص . وإن كان للتأديب فيسهل عليه أن يرجع إلى رحمتك فإنك يارب لا ترتضى بهلاكنا . وبعد الهيجان تجعل هدوءاً عظيماً ، وبعد دموع البكاء تقبض السرور . فليكن اسمك يا إله اسرائيل مباركاً إلى الأبد» طوبيا ٣ : ٢١ – ٢٣ .

استرجع إلى ذهنك أيضاً المسيح ربنا الذى فى آلامه العديدة أحس بذاته متروكاً من أبيه السماوى فى بستان جثيمانى وعلى الصليب وعندما تحس بذاتك كما لو كنت

مصلوباً فى حالتك الحاضرة اصرخ من كل قلبك « لتكن مشيئتك يارب » « **ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت** » مت ٢٦ : ٣٩ . إن فعلت هذا ستصعد صلاتك إلى فوق إلى حضرة الله ، وكذلك نار محرقة قلبك . وستحس بذاتك ممتلئاً حباً قوياً كالموت ، واستعداداً حاراً لحمل صليبك على كتفك واتباع يسوع المسيح ربنا فى أى طريق يختاره ليدعوك له . هذه حياة حقيقية فى الله . أن ترغب وتطلب الله من أجل ذاته كى تمتلكه وتشترك معه فى الطريق وإلى المدى الذى يريده . إن دخل أناس إلى طريق الحياة الإلهية بهذا العزم ، وقاسوا تقدمهم بقوته بدلاً من المباهج الروحية لا ينغلبون بالتجارب بسهولة ، هذه التى تأتيهم من ذواتهم أو من حيل العدو ولا يكن فتورهم بلا فائدة ولا يشتكون عندما تأتيهم أوقات البرودة والجفاف . على العكس سيتلقون مثل هذه الأوقات بالشكر ويتحملونها بفرح ، مقتنعين أنها ارادة الله وأنها لفائدتهم فلا يكترثون بها ويستمرون فى حياتهم فى طريق ارضاء الله ، ملاحظين كل التدابير البناءة بغيرة شديدة وانكار ذات أشد .

يحدث أحياناً حينما تفتر النفس وتصبح فى هذه الحالة من البرودة وعدم تذوق أى شئ روحى ، أن العدو يهجم بعنف شديد من خلال أفكار شريرة ، وتأثيرات مخزية

وأحـلام مضـلـة . وهـدفه مـن هـذا كلـه هـو إثـارة اليـأس فـى قلب الإنسـان من إحسـاسـه بأن اللّه قـد تركه . مما يـجـعل الإنسـان يوقـف جهـاده ويميل نحـو وجع معين وذلـك لكى يرجعـه العدو بسـهولة إلى عـظم حياة الـخـطية فإذا عـرفت هذا قف ثابـتاً ، دع أمواج الخطية تهدر حول قـلـبك ، ولـكن طالما كـان قلبك ممتلئـاً اشـمئـزازاً من الـخطية وله رغـبة أن يكون أمـيناً مع الـلّه فزورقك الصـغير سيظل فـى سلام . لقد سـحبت النعمة الإلهـيـة تعزياتها منك ، ولكنها تقف من قرب تراقبك وسـوف لا تتركـك بلا معونة ما دامت ارادتك نحو جانب الـخير . لذلك اثبت واقفـاً ملهما (بالتأكيد) أن هذه العـاصـفـة ستنتهى سـريعاً . آمن أن هـذا قد سـمح به لفائدتـك الـخاصة ، حيث أنك لو احـتملت دقة هـذه الـتـجربة والـشـدة سـتـخـرج مـنها بمـعـرفـة أعـمـق عن ضـعـفـك ، وسـتـتعلم اتـضـاعاً أكـثر واقتـناعاً قويـاً أن معونة الـلّه على استعداد دائم وقريبة لتكون فى عونك ومساعدتك .



٨

فى حراسة الضمير ونحصه

يا أخى استعمل كل الوسائل كى تحتفظ بنقاوة ضميرك فى الأفكار والأقوال والأعمال ليكن دائماً بلا لوم . ولا تجعله يبكتك أو يؤاخذك لأى شئ . إن فعلت هذا سيتقوى ضميرك فى سائر أعمالك الداخلية والخارجية ، وإذ يصير رقيباً على كل حياتك ، سيحكمها عادلاً مضبوطاً . إن الضمير النقى يجعل حياتك بلا لوم . لأنه يكون أنذاك حساساً وقوياً للخير ضد الشر. والضمير هو الناموس الموضوع من اللّه فى قلوب البشر كى يلقى ضوءاً على حياتهم ويرشدهم إلى الطريق الصحيح . كما يعلم بولس الرسول داعياً إياه « **عمل الناموس مكتوباً فى قلوبهم** » رو ٢ : ١٥ وعلى أساس هذا القول يعطى القديس نيل السينائى النصيحة الآتية : « فى كل أعمالك اتبع ارشاد ضميرك كسراج يضئ » .

يوجد أربعة مجالات للاتصال ينبغى أن تحفظ ضميرك بلا عيب فيها وهى علاقتك باللّه وبالنسبة لذاتك ، ولأقربائك ، لكل شئ بين يديك .

أنت تعرف هذا ولكن سأذكرك بالنقط الهامة :

بالنسبة لله :

✣ داوم على تذكرك اللّه وسر فى حضرته ، انتبه إلى ذاتك من حيث أن قوة اللّه هى التى تحملك وتحبك . وسِر نحو هذه الغاية التى من أجلها دعاك إلى الوجود . أوقف نفسك وكل ما تملك لخدمة اللّه ومجد اسمه ، عش فيه ، وثق به ، وسلمّ له مصيرك الزمنى والأبدى لعلاقتك .

بالنسبة لذاتك :

✣ كن عادلاً مع نفسك وأعطها حقها من كل جزء فى وجودك ، اجعل روحك التى تطلب اللّه السماوى والأبدى تحكم على نفسك وجسدك المجعولان لوظائف الحياة الزمنية ، عوّد نفسك طاعة ما تمليه الروح وتحنى عنق العقل للحق المعلن من اللّه . وهكذا تعمل فى كل مجال لتحفظ مشيئة تدابير الوصايا الإلهية ، ولا تسمح لها أن تشرد نحو ميولها الخاصة - لتعلم أن قلبك لا يجد عزاءه إلا فى الأمور الإلهية فقط وفى الأشياء التى تحمل الطابع الإلهى والمعبرة عنه . وبهذه الروح دع نفسك ترتب وتدبر شئونها العامة والخاصة فى الحياة اليومية . واعطِ لجسدك ما يحتاجه مراعياً مقياساً حازماً متبعاً كلامَ بولس الرسول إذ قال « لا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات » رو ١٣ : ١٤ .

بالنسبة للأقرباء :

✣ احترم الكل كأنهم صورة الله ، اطلب الخير للجميع واصنع الخير للجيمع كلما قدرت على ذلك ، اتضع للكل، واطلب رضى الجميع فى حدود ما هو للخير، افرح مع الفرحين واحزن مع الحزانى ، ولا تحتقر انساناً حتى ولو فى الفكر أو فى الشعور ، لا تخفى الحقيقة إن كنت تعرفها عن أولئك الذين يطلبون منك ارشاداً أو نصيحة . ولكن لا تفرض نفسك على أ ى إنسان كمعلم من تلقاء نفسك ، وفوق كل شئ احتفظ بالسلام والوفاق مع جميع الناس مستعداً لتقديم أى تضحية لأجل هذا الغرض . واحرص كل الحرص الا تضل احداً .

وبالنسبة للأشياء :

احترم كل الأشياء كخلائق الله ، استعملها واحفظها لمجد الله . ارضى بما لك مهما كان واشكر الله عليه . لا ترتبط بأى شئ ولا يتعلق قلبك بأى شئ ويرتبط به ارتباطاً يعوقه عن الحياة مع الله ، واعتبر كل الأشياء وسائل خارجية وأدوات كى تكون متحرراً فى تناولك لها فلا تصير قيوداً أو عقبات فى طريقك الصحيح . لا تسمح لذاتك أن تعتمد على هذه الدعامات الواهية، لا تتفاخر بممتلكاتك ، ولا تحسد ممتلكات الآخرين ، تجنب حشد

الأموال والقنية ولا تضل فى الأمور غير الصالحة . كل انسان مضطر أن يلاحظ هذا كله فى كل يوم بصورة أو بأخرى غالباً فى كل خطوة .

كيف تتصرف حسنا :

✣ قال القديس بولس « إن تصرفت حسناً فى كل شئ» يكون لك « ضميراً صالحاً » أولئك « الراغبون أن يتصرفوا حسناً » ويتوقون للخلاص يسلكون كما بينت محاولين أن لا يخطئوا فى هذه الأمور ولا يلوثون ضميرهم ولكن رغم كل جهادهم تتسلل إلى قلوبهم أفكار ومشاعر خاطئة وأحياناً أعمال خاطئة غير ملحوظة أو ملحوظة وتغطى وجه الضمير النقى بالتراب حتى أنه فى نحو نهاية اليوم نادراً ما يفلت إنسان من نتائج هذا ، مثل عابر الطريق الذى يجتاز فى طريق مترب فيعلو التراب عينيه وأنفه وفمه وشعره ويغطى وجهه كله . هذا هو السبب فى أن كل إنسان تواق للخلاص لا بد له أن يفحص ضميره فى المساء ويرى الأمور الخاطئة التى وافقتها الأفكار أو الكلام أو الأفعال فيغسلها بالتوبة : بمعنى أنه يعمل ما يفعله المسافر الذى عفره التراب . فإن الأخير يغسل نفسه بالماء . أما الأول فيطهر ذاته بالتوبة الندامة والدموع . فحص الذات هذا يجب أن يشمل كل

الأمور الصالحة والطالحة ، الجيدة والشريرة من كل النواحى الموضحة فيما سبق . إن وجدت امراً حسناً فى ذاته انظر عما إذا كان حسناً بحسب الانطباعات والأهواء الخاصة . كذلك ينبغى أن يكون صحيحاً فى طريق ممارسته والميل نحوه بعد كماله (اى ابحث فيما إذا كان معمولاً بتأثير معيّن للحصول عل نفع من الناس أو للاشفاق على الذات وتزكيتها) وفى ظروف فعله لئلا تكون فى عملك مصوتاً بالبوق امامك لكى تمجد ذاتك بدون اعطاء المجد لله مع اهمال كامل للنفس وتغاضى عن الذات .

لاحظ نفسك :

إن وجدت أمراً خاطئاً قد فعلته افحص كيف حدث لك فعل هذا ، عندما يكون لك رغبة دائمة لتعمل ما هو صحيح فقط أوجد الأسباب الخارجية والداخلية التى أدت إليه . كيف تحكم نفسك فى هذه الحالة كى لا تخطئ ، ولماذا لم تقم بهذا . حينئذ دون أن تلوم أشخاصاً أو أشياء بل نفسك فقط . قرر بفطنة يجب عليك أن تسلك فى المستقبل كى تتجنب الخطية فى هذا الظرف والظروف المماثلة . وأقم قانوناً حازماً لنفسك لتنفذ قرارك بلا حيود أو اشفاق على النفس ، أو طلب الراحة ، وبهذا تستخدم حتى الأمور غير النقية كى تخصب حقل قلبك .

نهاية فحص النفس :

فى نهاية هذا الفحص ، قدم الشكر للّه من أجل كل الأشياء التى وجدتها صحيحة دون أن تنسب أى شئ منها لنفسك ذاكراً قول الرسول « **لأن اللّه هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا** » فى ٢ : ١٣ « **وبدون اللّه لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً** » يو ١٥ : ٥ . لذلك قدم شكراً للّه ، واتبع هذا المثال لتزيد غيرتك « **وامتد إلى ما هو قدام** » فى ٣ : ١٣ . وبالنسبة للأمور الخاطئة تب واندم قدام اللّه ، لائماً نفسك أن الخبز الذى قدمته له لم يكن نقياً تماماً بل مختلطاً بشوائب وقش وصمم أن تراقب نفسك فى اليوم التالى وأن لا تسمح بأى خطأ يتسلل ليس فى القول والفعل فقط بل وفى الفكر أيضاً .

- إن الذين يراقبون ذواتهم يتممون كل هذا . أى الفحص فى خلال يومهم والنتيجة المترتبة ، حتى أنه فى المساء يكون فحص الضمير مجرد اعادة نظر لما تم أثناء اليوم مع التصحيح والتقويم . ألا توافق أن الطريقة الأخيرة أفضل وهى طبيعية فلا يخفى على الضمير أى شئ خاطئ. وإذا لاحظه مرة يضطرب الضمير فوراً . أليس من الطبيعى جداً أن يهدأ الضميرفى الحال من إدانة النفس والندامة والقرار على السلوك الصحيح فى المستقبل أفضل من ترك الأمر للمساء ؟

اجتهد أن يكون لك ضمير طاهر :

أريد أن أضيف نقطة أو اثنتين على هذا الموضوع :

افحص أعمالك بصرامة شديدة وابحث عن أسبابها مصدراً حكماً بلا رحمة على نفسك . وكلما غصت عميقاً في كل ما يحدث فيك وما يحدث منك زاجراً للأمور الخاطئة ، ومثبتاً للأمور الصالحة كلما تنقى ضميرك ، فكلما كانت البئر عميقة كلما كان ملؤها أنقى . وبمجرد ان يتعلم الضمير عن ما هو خير وما هو شر لا يكف عن طلب أفعال الخير ويزجر أفعال الشر فقط . ولكن أيضاً ان يكمل معرفته عن الأول والآخر أو حتى تكون له. «**الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر** » عب ٥ : ١٤ . ويقتني لنفسه بصيرة قوية ويبقى في هذا الحس إلى مدى معيّن معتمداً على قوى النفس الأخرى وبالأخص على أحكام الفهم . ولكن إلى أن يتنقى القلب من الأوجاع . لا يعتمد على الفهم دائماً لأنه قد يصدر احكاماً كثيرة تغيم عين الضمير وتضلله فيأخذ الأسود كأنه أبيض.لذلك طالما أنت لم تزل مقاوماً للأوجاع ففي فحصك لذاتك ضع اعمالك أمام مرآة كلمة اللّه واسترشد بها لمعرفة نوع هذه الأعمال وقيمتها . زيادة على ذلك لا تكن كسولاً او خجولا عن زياراتك المتكاثرة لأبيك الروحي

ابدأ فحص أعمالك واختمها بصلاة حارة سائلا الرب أن يعطيك عيوناً تنظر ما فى أعماق قلبك ، **لأن القلب أخدع من كل شئ وهو نجيس من يعرفه** ، أر ١٧ : ٩ . لا أحد غير اللّه فهو ، **أعظم من قلوبنا ويعلم كل شئ** ، ١ يو ٣ : ٢٠ . ، **لأنك أنت وحدك قد عرفت قلوب كل بنى البشر**، ١ مل ٨ : ٣٩ . هناك احساس خاطئ يكون أحياناً مخفى فى القلب وأحياناً يتسلل إلى أفعال الإنسان، وأحياناً يكاد لا يلاحظ وينجسهم بنتانة الخطية . لذلك صلِ مع داود النبى ، **من الخطايا المستترة ابرئنى** ، مز ١٩ : ١٢ .



٩

فى الاستعداد لمقاتلة الأعداء ساعة الموت

الجولة الأخيرة :

بالرغم من أن حياتنا على الأرض كلها محاربات لا تنتهى ، وعلينا أن نجاهد ضد هذه الحروب حتى النهاية فإن المعركة الرئيسية الأكثر خطراً هى التى تنتظرنا ساعة الموت . فإن من سقط فى هذه اللحظة لا يقدر أن ينهض مرة أخرى . لا تعجب من هذا لأن العدو إن كان قد تجاسر أن يتقدم إلى ربنا الذى لم يكن فيه خطية فى نهاية أيامه بالجسد على الأرض . إذ قال الرب نفسه « **رئيس هذا العالم آت وليس له فىّ شئ** » يو ١٤ : ٣٠ . فما الذى يمنعه من الهجوم علينا نحن الخطاة فى نهاية حياتنا ؟ يقول القديس باسيليوس الكبير فى تفسيره المزمور السابع « **لئلا يفترس كأسد نفسى هاشماً إياها ولا منقذ** » مز ٧ : ٢ . إن أشد المحاربين بأساً الذين جاهدوا بلا توقف مع الشياطين أثناء الحياة ، وقد نجوا من شباكهم وصمدوا أمام غزواتهم يعرضون فى نهاية حياتهم لامتحان من رئيس هذا الزمان ليحاول محاولته الأخيرة ربما يكون قد تبقى منهم من آثار الخطية ما يقوى به

عليهم ويهزمهم في آخر لحظة ، وإذ لا يجد فيهم شيئاً من هذا لا يقوى عليهم ويجوزون هذه الحرب بسلام ويعبرون بعدها إلى الراحة مع المسيح .

الإستعداد الدائم :

فما دام الأمر كذلك ، يستحيل أن تبعد هذه الحرب عن مخيلتنا بل يجب أن نستعد لها قبل الوقت لنقابل ساعة الموت ونجتازها بنجاح . ينبغي أن تكون الحياة كلها استعداداً لهذه اللحظة . عليك يا أخي أن تثبت استعداداً طيباً لهذه الساعة ، إن كنت أثناء حياتك الزمنية المختصة بك حاربت بشجاعة ضد أعداء خلاصك ، ستكون قد اكتسبت مهارة تتغلب بها على أعدائك وستنال إكليل النصرة بسهولة في ساعة الموت .

زيادة على ذلك فكر باستمرار في الموت بانتباه ويقظة، مسترجعاً في ذهنك كل ما سيحدث أنذاك . إن صنعت هذا سوف لا تباغتك هذه الساعة ومن ثم لا تخيفك أوعلى الأقل لن ترعبك كثيراً ، وسوف لا تضعف نفسك بالخوف بل على العكس ستبدي ثباتاً وقوة كي تجاهد وتغلب العدو . إن أبناء هذا العالم يهربون من فكر تذكر الموت ، كي لا يقطعوا متعهم ومباهجهم الحسية التي لا تتفق مع تذكر الموت . وهذا يجعل ارتباطهم بأباطيل هذا

العالم ينمو ويشتد حيث لا يقابلها من يعارضه . ولكن عندما يحين وقت رحيلهم من الحياة وانفصالهم عن المتع والأشياء التى أحبوها فى العالم يصبحون فريسة للرعب والاضطراب والفزع .

لكى تجعل تذكر الموت يأتى بثماره فيك عليك أن تضع نفسك ذهنياً موضع رجل يلفظ آخر أنفاسه . فى ضيق وألم من سكرات الموت ، عليك أن تتصور تجارب العدو بصورة حية تلك التى ستهاجمك فى لحظة انتقالك وفى نفس الوقت تستحضر الى ذهنك الأفكار والمشاعر التى ستقابل بها كل هذا . وسأشرح لك محاربات العدو المحتمل أن تقابلها فى هذه اللحظة . وطرق صدها كى تفتكر فيها وأنت لم تزل حياً . ويمكنك أن تستفيد بها عملياً عندما تأتيك ساعة الموت . لأن هذه الحرب وتلك المعركة لا تأتى إلا مرة واحدة وحيث أنه لا مفر منها ، على الإنسان أن يتعلم كيف يقابلها ويحارب فيها بمهارة لئلا يخطئ ويفقد ما لا يمكن استرجاعه .



١٠

المعارك الأخيرة ساعة الموت

التجارب الرئيسية الخطيرة التى تحاربنا الشياطين بها ساعة الموت هى :-

١ - زعزعة الايمان .

٢ - اليأس .

٣ - المجد الباطل .

٤ - خيالات مختلفة تظهرها لنا .

التجربة الأولى

بالنسبة للتجربة الأولى : حينما يبدأ العدو أن يبذر فيك أفكار الشك أو يتكلم معك وهو فى صورة مرئية ضد الإيمان ، لا تدخل معه فى براهين . بل وطد فى نفسك الإيمان الذى يهاجمك بثبات . وقل له بكل سخط : اغرب عنى يا إبليس يا أبو الكذب إننى أرفض الاصغاء إليك . إننى أؤمن بكل نفسى وقد آمنت دائماً بما اعتقدت فى الكنيسة المقدسة . وهذا يكفينى . لا تقل أى فكر شك وقف ثابتاً كقول الكتاب « **إن صعدت عليك روح التسلط فلا تترك مكانك** » جا ١٠ : ٤ . كن يقظاً متوقد الذهن . وثابر على هذه اليقظة . إن هذا ما هو إلا احتيال الشيطان الذى يتوق أن يبلبلك فى الساعة الأخيرة . وإن لم تقدر أن تقف

منتبهاً فى ذهنك كن يقظاً فى ارادتك ومشاعرك ، لا تدعهم يميلون نحو الاقتراح ، رغم أن مهلك النفوس يستخدم آيات الكتاب المقدس كستار لحيلته . لأنه مهما كانت أيه الكتاب التى نكرها لك فهو يعمل هذا على أمل أن يؤدى بك إلى خسران النفس بتفسير مغلوط ، وتحريف لحق كلمة اللّه .

لا تناقش العدو :

إن سألتك الحية الشريرة : بماذا تعلم الكنيسة ؟ لا تجاوب ، ولا تلتفت إلى هذه الكلمات متجاهلاً كل كلماتها بالكلية ، عالماً انها كذب وخداع وأنه الشيطان يحاول أن يبلبل افكارك . تأمل بعمق الإيمان الذى فى قلبك . وإن شعرت أنك ثابت فى الإيمان وقوى فى الفكر وتريد أن تخزى العدو ، أجبه بأن الكنيسة تؤمن بما هو حق فقط . إن سأل مرة أخرى ما هو الحق ؟ قل الحق هو ما يؤمن به ، قل له إنه بالصليب قد سحق ربنا يسوع المسيح راس الشيطان وأبطل قوته . حينئذ ثبت عينىّ عقلك فى التأمل فى الرب المصلوب عنا وصلِ له . يا إلهى ، يا خالقى وفادىّ اسرع إلى معونتى ولا تدعنى أهتز فى حق إيمانك المقدس حيث أننى خلال حبك الرحيم قد ولدت فى هذا الحق . أعطنى أن أتمسك به ، وهكذا تنتهى حياتى إلى مجد إسمك .

١١

التجربة الثانية فى ساعة الموت

عن اليأس

التجربة الثانية فى ساعة الموت التى يشتاق العدو أن يحطمنا بها ، هى الخوف عندما نرى جسامة خطايانا . هذا الخوف لا يمكن تجنبه ولكن أحياناً يشوبه الشك فى عقيدة الخلاص من خطايانا بموت مخلصنا على الصليب. كى يخمد كل أمل فينا للخلاص . ويحطمنا باليأس وقطع الرجاء . لذلك يا أخى أعدد نفسك قبل الوقت كى تصد هذا الهجوم . وصمم من الآن أن تتمسك بشدة بالرجاء الذى لنا فى ربنا بمعنى أن تحفظ فى قلبك بثبات الايمان فى قوة الفداء بموت ربنا على الصليب . إن كنت وأنت داخل من أبواب الموت تختبر هجمات قطع الرجاء ، أسرع أن تتحقق أولاً ، أنها جميعاً من عمل العدو ، وليست نتيجة طبيعية لكثرة خطاياك . هذا الاستجماع يجلب اتضاعاً وندامة وقلباً شاعراً بالحزن إذ أسأت إلى اللّه العامل الرحيم ، لذلك رغم أنها تجلب خوفاً إلا أن هذا لا يبدد الرجاء فى رحمة اللّه ، وإذ هو ممتزج به (بالرجاء

باللّه) يؤدى إلى ثقة جريئة فى الخلاص . مبعداً كل احساس بالرفض من قلبك . إن عرفت هذا ستعرف دائماً أن كل تذكر للخطايا الكثيرة له قوة أن يضايقك ويلقيك فى اليأس هو تذكر شيطانى لأنه يبعد كل رجاء فيك للخلاص ويحطمك بالخوف من أن تُرفض . وإذ تنبهت لهذا مرة لا يصعب عليك أن تقتنى رجاء على رجاء. يبدد كل يأس . إن الرجاء يجعل الإنسان غائصاً فى تأمل الرحمة الإلهية التى فى أعماقها اللا نهائية قد وهب للإنسان أن يلقى خطاياه الجمة ، باقتناع لا يتزعزع أن اللّه يريد ويطلب ليس هلاكنا بل خلاصنا . والأساس الأكيد الوحيد الذى عليه يتقوى هذا الاقتناع هو فى أى وقت ، وبالأخص فى ذلك الوقت : هى قوة موت ربنا ومخلصنا على الصليب تلك القوة التى لا تحد . لذلك حيث ينبغى علينا دائماً أن نطلب المعونة من هذا الصليب، فكم بالأكثر تكون طلب المعونة لازمة فى ذلك الوقت : هنا صلاة مناسبة ترفعها لربك وإلهك عند دخولك من أبواب الموت : « ربى كثيرة هى أسباب مخاوفى إذ أنك لو عاملتنى بعدلك سأكون مذنباً أمامك وتطرحنى من أجل خطاياى ولكن رجائى المتجاسر أكثر فى غفرانك بحسب

رحمتك اللانهائية فى ابنك مخلص نفوسنا يسوع المسيح، لذلك أتضرع إليك أن تبقى لى صلاحك غير المحدود ، أما المخلوق المسكين **لأنه رغم أننى مذنب بخطاياى ، إلا أننى مغسول بالدم الثمين لابنك الوحيد الهنا** كى يمجدك إلى الأبد . إننى استودع نفسى بين يديك : فعاملنى برحمتك فانت وحدك هو حياتى وملجاى !! » .



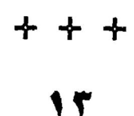
١٢

التجربة الثالثة فى ساعة الموت

عن المجد الباطل

التجربة الثالثة فى ساعة الموت هى المجد الباطل وتذكية النفس هذه التى يحاربنا بها العدو محاولاً بها أن يعتمد الإنسان على نفسه وعلى أعماله الخاصة . لذلك لا تلتفت . لا سيما ساعة الموت إلى نفسك وإلى أعمالك ، ولا تكن راضياً عن نفسك وعن أعمالك ، حتى ولو كان تقدمك فى الفضائل أكثر من كل القديسين ، ليكن كل رضاك فى اللّه وضع رجاءك بالكلية فى رحمته وآلام ربنا ومخلصنا يسوع عنك صاغراً نفسك فى عينىّ ذاتك حتى النفس الأخير ، وإن كنت تريد أن تخلص . إن أتى إلى فكرك بعض أعمالك الصالحة ، فكر فى **أنها عمل اللّه فيك** وبك وليست منك وأنها منسوبة له تماماً . اعتصم بحصن العناية الإلهية لنفسك دون أن تتوقعها كجزاء لجهاداتك المعنية التى تحتملها والانتصارات التى حزتها. قف دائماً فى خوف مطوّب واقتناع مخلص أن كل جهاداتك ومحاولاتك وكفاحك باطل وبلا ثمر لو لم يضمهم اللّه تحت أجنحة رأفته وساعد وشارك فى العمل فيهم . لذلك ضع ثقتك فى رأفته ومراحمه .

إن اتبعت نصيحتى هذه تأكد أنك فى لحظة الموت ستبطل هجمات الأعداء وسينفتح أمامك طريق حر تعبر فيه بفرح من الوادى الأرضى إلى أورشليم السمائية ، الموطن الذى تتوق إليه نفسك .



١٣

التجربة الرابعة فى ساعة الموت

من الخيالات والرؤى

إن كان عدونا الشهير اللحوح ، الذى لا يمل من تجربتنا يحاول أن يضلك فى ساعة الموت ببعض الخيالات والضغطات أو يتحول إلى ملاك نور ، اثبت فى الأحساس بمسكنتك وأنك لا شئ على الأطلاق . وقل له بقلب شجاع بلا رهبة : « ارجع أيها الملعون إلى ظلمتك فأنا لا أستحق الرؤى والاعلانات . إننى أحتاج إلى شئ واحد فقط . وهو تحنن ربنا يسوع المسيح وصلوات وشفاعة سيدتنا والدة الإله العذراء مريم وكل القديسين » . حتى إن كانت هناك علامات واضحة جعلتك تظن أنك ترى رؤية حقيقية

مرسلة من اللّه ، لا تتسرع فى تصديقها بل من الأولى أن تتأكد أنك لا شئ ولا تستحق أى شئ . لا تظن أنك تسئ إلى اللّه بهذا لأن مشاعرنا المتواضعة لا يمكن أن تغضبه . إن كانت هناك ضرورة لمثل هذه الرؤى فاللّه يعرف كيف يمنعك من غلق عينيك عنها ، وسيصفح عن احجامك نحو الإيمان بأنها منه ، لأنك فعلت ذلك باتضاع نفس أمامه والذى يعطى نعمة للمتواضعين لا يمكن أن يبعدها عنهم من أجل أعمال أوحاها الاتضاع . مثل هذه الأسلحة هى التى يستخدمها العدو ليهاجمنا بها فى آخر ساعتنا كمحاولة أخرى له ولكنه يستخدم للغرض نفسه أى وجع آخر زيادة عن كل ما تقدم عانى منه الإنسان أثناء حياته ويستعمل أكثر الأوجاع التى تسيطر عليه ساعة موته ، ويحاول أن يشهره فى وجهه كى يترك الإنسان هذه الحياة وهو فى حالة وجعية لتقرر مصيره تبعاً لها . لذلك يا حبيبى يجب أن نكون مسلحين دائماً ضد أقوى أوجاعنا قبل أن تأتى علينا هذه المعركة الكبرى كى نغلبهم وننقى حياتنا منهم حتى تكون نصرتنا أسهل عند الساعة الأخيرة التى ربما تأتى فى أى وقت متصدقاً بقول الرب **«حاربهم حتى يفنوا»** ١ صم ١٥ : ١٨».



١٤

فى السلام الروحانى للقلب

شهوة السلام فى القلب :

إن قلبك يا حبيبى جعل لغرض واحد وهو أن يحب اللّه وحده ويكون محلا لسكناه لذلك فإنه يدعوك أن تعطيه إياه قائلاً « ياابنى أعطنى قلبك » أم ٢٣ : ٢٦ . ولكن حيث ان اللّه سلام يفوق كل عقل ، فيلزم للقلب الذى يشتهى أن يستقبله (اللّه) أن يكون سالماً متحرراً من السجس[١]. لأن مكانه فى السلام فقط كما يقول المرتل داود . لذلك ليكن اشتياقك قبل كل شئ أن تبنى فى قلبك حالة سلام ثابتة كل فضائلك وكل أعمالك وجهاداتك ينبغى أن تتجه نحو الوصول إلى هذا السلام . لا سيما مواقفك الباسلة للجهاد كما يقول القديس ارسانيوس أعظم ممارس للسكون « ليكن اهتمامك كله فى أن تجعل حالتك الداخلية موافقة مع اللّه وأنت ستغلب أوجاعك الخارجية ».

فوق كل تحفظ احفظ قلبك:

سلام القلب تعكره الأوجاع – لذلك إن كنت لا تسمح

---

(١) السجس هو انقسام القلب وتشتت العقل بكثرة الأفكار والهموم .

للأوجاع أن تقترب إلى القلب سيبقى فى سلام دائم ، فى المحاربات الروحية ، يقف المحارب متسلحاً تماماً عند أبواب القلب ويصد كل من يحاولون أن يدخلوا ليحدثوا اضطراباً . عندما يكون القلب فى سلام لا يصعب الانتصار على الهاجمين . سلام القلب هو هدف المحاربات الروحية وأكثر الوسائل قوة لبلوغ النصرة فيها . لذلك عندما يتسلل وجع ما فى القلب ويسجسه لا تهب لتهاجم الوجع ولا تحاول أن تطلبه بل ادخل إلى أعماق قلبك وحاول أن تسترجع الهدوء هناك وبمجرد أن يهدأ القلب ينتهى القتال .

الحياة البشرية ما هى إلا محاربات متصلة ، وتجارب لا تنتهى . التجربة تثير القتال وهكذا تنشأ المحاربات . وبالنسبة لهذه المحاربات عليك أن تتيقظ دائماً وتعمل كل جهدك لتحرس قلبك وترلقبه ، كى تحفظه فى سلام وهدوء. عندما تقوم فى نفسك حركة اضطراب حاول بكل غيره أن تخمدها وتسكن قلبك فى سلام لئلا يضلك هذا السجس عن الطريق الصحيح .لأن قلب الإنسان يشبه بندول الساعة أو دفة المركب . إن جعلت البندول أخف أو أثقل مما يجب فهذا سيغير حركة كل التروس ولا تعطى العقارب وقتاً مضبوطاً . إن حركت الدفة نحو اليمين أو نحو اليسار يختل سير المركب على الفور حتى أنها لا

تستقر فيما بعد على سيرها الأول . بنفس الطريقة عندما يسود القلب الاضطراب يرجع إلينا كل ما كان فينا من تشويش وهرجلة حتى أن عقلنا يفقد القدرة على التفكير الصحيح . هذا هو السبب فى ضرورة الاسراع لتهدئة القلب بمجرد أن يضطرب بأمر ما خارجياً كان أو داخلياً أو سواء فى وقت الصلاة أوفى أى وقت آخر .

سلام القلب والعمل الروحى :

وعليك أن تتحقق بأنك لا يمكن أن تصلى صلاة نقية إلا حينما تكون قد تحكمت فعلا فى واجبات حراسة سلامك الداخلى . لذلك ، وجه انتباهك لهذا الموضوع وحاول أن تصل إلى حالة يكون معها كل شئ يعمل فيك بسلام قلبى ويفرح ومسرة . سأقول باختصار ، إن الوصول إلى سلام القلب ينبغى أن يكون محاولة دائمة لحياتك كلها. عليك أن لا تسمح لها ابداً أن تلقى في خضم السجس وهكذا تتم كل أعمالك متوطناً فى ماوى السلام كما هو مكتوب « **يا ابنى اكمل اعمالك بالوداعة** » سى ٣ : ١٧ . وعندئذ ستصل إلى بركة الوعد الطويلى الأناة «**طوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض**» مت ٥ : ٥ .



١٥
فى وسائل حفظ السلام الداخلى

كيف تحافظ على السلام الداخلى :

١ - قبل كل شئ رتب حواسك الخارجية ، اهرب من كل تهور في تدبيرك الخارجي . أعنى لا تنظر أو تتكلم أو تحرك يدك أو تمشى أو تعمل أى شئ آخر برعونة بل بهدوء ووقار . تعود السلوك بهدوء ووقار فى حركاتك وأعمالك الخارجية فستصل إلى السلام فى داخلك بسهولة وبدون مشقة لأنه بحسب تعاليم الآباء كثيراً ما يتأثر الإنسان الداخلى ويأخذ طابعه من الإنسان الخارجي.

٢ - كن على استعداد أن تحب كل الناس وتعيش متوافقاً مع كل واحد كما يوصى القديس بولس « **ان كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس** » رو ١٢ : ١٨ .

٣ - احفظ ضميرك طاهراً بحيث لا يؤنبك ولا يبكتك على أى أمر من الأمور بل احرص أن تكون دائماً فى سلام مع الله ومع نفسك ومع جيرانك وفى كل الأمور الخارجية. وإن كان ضميرك نقياً باستمرار ، يقوى ويعمق السلام الداخلى فيك كما يقول داود « **سلامة جزيلة لمحبى شريعتك وليس لهم معثرة** » مز ١١٩ : ١٦٥ .

٤ – عوّد نفسك على احتمال كل الاساءات والاهانات بدون اضطراب . حقاً إنك قبل أن تصل إلى هذه العادة ستحزن وتقاسى الكثير فى قلبك ، لعدم الخبرة فى التحكم فى النفس فى مثل هذه الأحوال . ولكن بمجرد اكتساب هذه العادة مرة ستجد نفسك راحة عظيمة فى المشقات التى تقابلها . إن كنت ثابت العزم ستتعلم يوماً بعد آخر أن تتحكم فى نفسك بصورة أفضل ، وستصل بسرعة إلى حالة أفضل ، عندما تعرف كيف تحفظ سلام روحك فى كل العواصف سواء الخارجية أم الداخلية .

إن كنت فى بعض الأوقات لا تقدر أن تسيطر على قلبك وترجع السلام إليه بابعاد كل الضغطات والأحزان . استعن بالصلاة مثابراً عليها متمثلاً بربنا ومخلصنا الذى صلى ثلاث مرات فى بستان جثيمانى ليريك بقدوته أن الصلاة يجب أن تكون ملاذك فى كل ضغطة وشدة قلب . وأنه لا شئ محزناً لك ويكسر قلبك مهما كان ، عليك ألا تتركه حتى تصل إلى حالته . عندما تتفق إرادتك تماماً مع إرداة اللّه وتهدأ بهذا يمتلئ قلبك شجاعة وجرأة ويكون مستعداً بمسرة أن يقبل ويقابل ويحتمل نفس الشئ الذى كان يخاف منه ويتجنب ملاقاته . كما أظهر ربنا الاحساس بالخوف والأسى والحزن ولكنه علمنا استعادة السلام عن طريق الصلاة حين قال بهدوء «قوموا ننطلق، هوذا الذى يسلمنى قد اقترب»متى٢٦ :٤٦ .

١٦

سلام القلب ينمو فينا

ليكن كل همك ليس فى أن تجعل قلبك لا يضطرب ويتسَجس . ولكن أن تبذل كل جهدك فى حفظه فى سلام وسكون . وإذ يرى اللّه جهاداتك ومحاولاتك سيرسل لك نعمة ويجعل نفسك مدينة سلام ، حينئذ يصير قلبك بيت تعزية كما يعبرمجازياً عن ذلك فى المزمور « **اورشليم المبنية كمدينة** » مز ١٢٢ : ٣ . إن اللّه يطلب منك شيئاً واحداً ، أنك فى كل وقت تضطرب فيه ببعض الأمور عليك أن تستعيد السلام فى نفسك وتدوم هكذا بلا اضطراب فى كل أعمالك ومهامك ، إن هذا بلا شك يتطلب صبراً لأنه كما أن المدينة لا تبنى فى يوم واحد فلا تتوقع أنت أيضاً أن تنال سلاماً داخلياً فى يوم واحد . لأن الحصول على سلام داخلى يعنى بناء سلام اللّه ، وخيمة القدير . وبهذه الطريقة تكون هيكلا للّه ذاته الذى بنى هذا البيت فيك ، والذى بدونه يضيع كل عملك هباء كما هو مكتوب «**إن لم يبن الرب البيت ، فباطلا تعب البناؤون**» مز ١٢٨ : ١ .

عليك أن تعرف أيضاً أن أساس القلب هو :

الاتضاع : تجنب كل الأعمال والاهتمامات والأمور التى تجلب القلق والهم .

بالنسبة للأولى من لا يعرف أن الإتضاع وسلام القلب والوداعة مرتبطون جداً . فعندما تأتى واحدة تأتى الأخرى أيضاً . الإنسان المتضع يتمتع قلبه بالسلام والوديع هو أيضاً متضع . والشخص المتضع القلب هو أيضاً وديع وفى سلام . هذا هو السبب الذى من أجله ذكرهما ربنا معاً بلا انفصال قائلا « **تعلّموا منى فانى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم** » متى ١١ : ٢٩ .

وبالنسبة للثانية نجد مثالها فى العهد القديم ، أعنى فى ان الله لم يرد أن يبنى داود له بيتاً لأنه قضى معظم حياته فى محاربات ومعارك . ولكن ابنه سليمان الذى من اسمه كان ملك سلام ولم يحارب أحداً هو الذى بنى البيت.



١٧

الاتضاع يبنى سلام القلب

اهرب من الكرامة :

إن أحببت يا أخى أن تقتنى سلام القلب ، اجتهد أن تدخل إليه عن طريق باب الاتضاع . لأنه لا يوجد باب آخر يقودك إليه سواه - ولكى تكتسب الاتضاع ، اجتهد واغصب ذاتك أن تقابل كل الشدائد والمضايقات بوجه باسم تماماً كما لو كنت تقابل أخوك أو صديقاً عزيزاً . اهرب من كل شهرة وكرامة مفضلاً أن تكون مجهولاً ومحتقراً فى كل شئ . ولا تطلب اهتماماً ولا عزاءً من أى انسان بل من الله مقتنعاً بجوده . دعّم فى قلبك الفكر بأن الله هو خيرك الوحيد وملجاك الأوحد ، وأن كل الأمور الأخرى ما هى إلا أشواك تسبب لك ضرراً بليغاً إن نفذت إلى قلبك . إن حدث أن أخزاك أحد لا تحزن بل احتمل هذا بفرح ، مقتنعاً أن الله معك . لا تبحث عن أى كرامة ولا يكون لك إلا الرغبة فى أن تتعذب من أجل الحب الذى تحمله ومن أجل تلك الأمور التى تؤول إلى مجد الله فيك .

افرح بالإهانات :

ضع فى نفسك أن تفرح عندما تهان أو تلام أو تحتقر عالماً أن سوء المعاملة والاهانات التى تقابلك تحوى كنزاً عظيماً ، وإن قبلتها برضى ستصبح غنياً بالروح . لا تحسب الانسان الذى أسدى إليك هذه الخدمة انه أساء إليك . لا تطلب أن تكون محبوباً ومكرماً فى هذه الحياة لكى يكون لك حرية أكثر لتصلب مع المسيح . إن فعلت هذا لن يقابلك أى عائق من أى شخص أو أى شئ .

انكار الذات :

انتبه إلى ذاتك كعدو لدود إن أردت ألا تخسر ولا تتبع هواك أو تسلك بحسب عقلك واحساسك وميولك . لذلك تسلح دائماً ضد نفسك . وعندما تميل إرادتك إلى شئ ما مهما كان مقدساً . جرده عارياً من كل شئ غريب دخيل وأوقفه وحده أمام الهك بعظم اتضاع متوسلاً إليه أن لتكن مشيئته هو وحده وليست مشيئتك . اعمل هذا باخلاص وبقلب سلم إرادتك لإرادة اللّه دون أى تأثر من محبة الذات . عالماً انه ليس فيك أى صلاح ولا تقدر أن تقوم بعمل لخلاص نفسك .

الحكمة فى الإفراز :

أُحرس نفسك من الأفكار التى تظهر مقدسة وتشتعل غيرة ليست حسب المعرفة التى تحدث عنها اللّه مجازياً فى قوله « **احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان لكنهم من داخل ذئاب خاطفة . من ثمارهم تعرفونهم** » مت ٧ : ١٥ ، ١٦ . ثمارهم هى فتور وانكسارفى الروح . اعلم أن كل ما يبعدك عن الإتضاع والسلام الداخلى والهدوء مهما بدا رائعاً لا شئ سوى أنبياء كذبة الذين يأتونك فى ثياب الحملان أى الغيرة المتطرفة لعمل الخير للقريب بلا افراز وهم فى الواقع ذئاب خاطفة تحفظك من إتضاعك وسلامك وهدوءك . لذلك من الضرورى لكل شخص يريد تقدماً مستمراً فى حياته الروحية أن لا يأخذ الأمور بمظهرها ويفحصها جيداً بافراز وروية وإن حدث أنك وقعت فى خطا كهذا لا تغتم بل اتضع فى نفسك أمام اللّه . اعرف ضعفك استخدمها كدرس للمستقبل لأنه ربما قد سمح اللّه بحدوثه ليكشف عن ملامح كبرياء خفية فى مكان من نفسك وأنت لا تشعر بها .

الزلل يقودك إلى الإتضاع :

إن شعرت أن نفسك قد وخزت بسن شوكة

مسمومـــة ، أى بوجع شـهوانى أو فكر وجعى لا تضطرب. بل ضاعـف انتباهك واجـتهد أن تجـعله (انتبـاهك) يصل إلى قلبك . واجهه وقاومه جاعلاً قلبك فى الخلف نقياً أمام اللّه أبعـد من أن يصل إليـه الأعداء . وهكذا من أجـل طهارة قلـبك سـيكون اللّه حاضـراً دائمـاً فى أعـمـاق قلبـك . وفى نفس الوقت امـلأ انسـانـك الداخلـى بالاقـتنـاع بأن كل مـا أصابك وحـل فيك هـو اختـبار لفائدتـك ولتعليمـك أن تميز الأمور التى تقود إلى خلاصك لكى باتباعك لها تستحق أن تنال إكليل الجق المعد لك برأفة اللّه .



١٨

انتظر الرب ... يعطيك سلاماً

من الضرورى حيث أن إله الآلهة ورب الأرباب قد سر أن يخلق نفسك كى تكون سكنى وهيكلاً له فعليك أن تحافظ عليها بحرص فائق ولا تحط من قدرها بميول أدنى من ذاتها . ليكن كل آملك ورجائك مركزاً فى تلك الزيارة الغير منظورة لله . ولكن عليك أن تعلم أن الله سوف لا يزور نفسك إن لم يجدها منحصرة فى ذاتها أى تكون بقدر الامكان خالية من كل الأفكار والأهواء وفوق كل شئ من إرادتها الخاصة . ويرتبط بالنقطة الأخيرة عدم القيام بمأثر عنيفة أو أن تفرض على نفسك حرومات اختيارية تختارها لنفسك وبدون روية وفحص . أو طلب فرص لتتألم من أجل حب الله . طائعاً اقتراحات ارادتك فقط . من جهة هذه الأمور عليك أن تأخذ بنصيحة أبيك الروحى الذى يقودك كنائب عن الله ، أطعه فى كل شئ ، وعن طريقه سيوجهك الله حقاً نحو ما يريده هو وإلى ما هو اكثر نفعاً لك . لا تعمل أى شئ من ذاتك بارادتك الخاصة، بل دع الله نفسه يعمل فيك ما يريده منك . ينبغى أن تتحرر من ذاتك . أى لا يكون لك رغبة من ذاتك ، وإن كان

لك رغبة ما خيِّرة فليكن بحيث لا تحزن إن تحققت أو لم تتحقق حتى إذا جاءت النتيجة عكس ما كنت تتوقع ثُم فى صفاء الروح ، كما لو كنت لم ترد شيئاً .

الحرية الحقيقية للقلب :

هذا الوضع هو الحرية الحقيقية للقلب إذ لا يكون مقيداً بشئ . لا فى الذهن ولا فى الإرادة بالنسبة لأى شئ . إن قدمت نفسك إلى اللّه خالية هكذا حرة ووحيدة فى نفسها ستعاين العمل المعجزى الذى سيكون فيها وسيحيطك الرب بسلام الهى . هذه الهبة ستكون إناء فيك لكل المواهب الأخرى كما يقول القديس اغريغوريوس الكبير (من سالونيك) فى كلمته لإحدى الراهبات « يا للوحدة العجيبة . وبيت الكنز المخفى الذى للمجد (اللّه) حيث هناك يرضى أن يستمع إلى الحديث الذى ترفعه إليه وهو يحادث القلب . إيه أيتها الصحراء والقفر الذى صرت فردوساً ! لأن هناك فقط يسمح اللّه لإنسان أن يراه ويتحدث معه » .

« **أميل الآن وأنظر هذا المنظر العظيم** » خر ٣ : ٣ .

قال موسى عن العليقة فى صحراء سيناء أنه مكان طبيعى ولكنه غني بالتأملات الداخلية . إن أردت أن تكون مستحقاً لنفس الشئ سر بلا نعال فى قدمك لأن الأرض مقدسة ،

اخلع حذاءك من قدمك أى نزعات نفسك وحررها (أى نفسك) من كل الأمور الأرضية **« لا تحمل كيساً ولا مزوداً حيث تسير كما أمر الرب تلاميذه »** لو ١٠ : ٤ . لا تشتهِ شيئاً بعد من هذا العالم ، ولا تسلم على أحد فى الطريق كما علمَ اليشع خادمه ، وكما امر الرب تلاميذه . ينبغى أن تكون كل أفكارك وكل ميولك وكل حبك محولاً إلى اللّه وليس لأى مخلوق آخر مهما كان من أمرهُ **« دع الموتى يدفنون موتاهم »** مت ٧ : ٢٢ . سر وحدك فى أرض الأحياء فلا يكون للموت نصيب فيك .



١٩

أعمال المحبة تزيد سلام القلب

محبة الله ومحبة القريب :

قال الرب في الإنجيل **« إنه أتى ليلقى نار الحب على الأرض ولا يريد إلا ان تضطرم بسرعة »** لو١٢ : ٤٩ . إن الحب الإلهي ليس له حد مثل الله المحبوب غير المحدود . ولكن الحب للقريب ينبغى أن يكون له حدود فإن كنت لا تحفظه داخل حدوده المضبوطة ربما يبعدك عن حب الله ، مسبباً ضرراً بليغاً ويلقى بك إلى الهلاك الأبدى. ينبغى أن تحب قريبك حقاً ولكن حبك له ينبغى أن لا يحدث ضرراً لنفسك . افعل كل أعمالك بطريقة بسيطة مقدسة دون النظر لأى شئ إلا لإرضاء الله . هذا سيقيك من أى خطوات خاطئة فى الأعمال التى يمليها حب القريب.

أهم هذه الأعمال هى مساعدة في خلاص أقربائك ولكن احذر أن تجلب هذه الأعمال ضرراً لك ولهم .

كن مثالا للإيمان المخلص والحياة المرضية عند الله ، وكما كان الرسل هكذا كن أنت أيضاً رائحة المسيح ، جاذباً كل الناس لأتباعه .

✣ لا تلح بكلماتك على كل الناس لأنك بهذه الطريقة تدمّر سلامك مع الآخرين ومع نفسك ، ليكن لك غيرة ملتهبة ورغبة قوية نحو كل إنسان لأن يعرف اللّه.كما عرفته أنت وأن يسكر من هذا الخمر الذى وعد به الرب أن يعطيه الآن بلا ثمن (أش ٥٥ : ١) ليكن لك عطش مستمر لخلاص أقربائك . ولكن ينبغى أن تقوم هذه الرغبة فى نفسك من حبك للّه ولا تكون بسبب غيرة حمقاء . إن اللّه نفسه سيغرس هذا الحب للإخوة فى نفسك إن كنت تركت (نفسك) عنها كل شئ وسيأتى فى وقته ليجمع ثمرها ولكن لاتبذر أنت أى شئ بحسب هواك .

✣ كل ما عليك عمله هو أن تقدم للّه ارض قلبك خالية من كل حسك وشوك وسيبذر هو البذور فيها متى أراد وكيفما أراد وستثمر هذه البذرة فى وقتها المحدد . تذكر دائماً أن اللّه يريد أن يرى نفسك خالية من كل شئ كى يربطها مع ذاته . لذلك **دعه يعمل فيك ولا تعيقه بالتدخل من إرادتك** . لا تخطط لنفسك شيئاً عدا شيئاً واحداً أطلب دائماً أن ترضى اللّه بالطاعة لإرادته .

✣ إن رب البيت قد خرج ليطلب فعلة لكرمه كقول الكتاب . ابعد عن كل هم وفكر . واسحب نفسك من كل

قلق على ذاتك . كل الارتباطات الوجعية مع أى شئ زمنى. وسيسر بك اللّه بذاته وسيعطيك أشياء لا تتركها . انسَ نفسك تماماً بقدر ما تستطيع ولا يعيش فى نفسك إلا حب اللّه .

✣ فوق كل هذا عليك أن تستعمل الحذر والغيرة المعتدلة بالنسبة للآخرين . وسيحفظك اللّه فى سلام وسكينة نفس . احترس لئلا تخسر نفسك بركتها الأساسية (سلام القلب) من اهتمامات حمقاء لكسب الآخرين . اعلم أن النبع الذى تقتنى منه هو طاعة نفسك طاعة كاملة للّه بجانب تركك لكل شئ ، اعمل هذا ليس انتظاراً للمكافأة ، ولا توافق فكرك إن قال لك أنك تعمل ما يجدر أن يعمل . إن اللّه نفسه يعمل فى كل شئ . ولا يتوقع منك أى شر سوى الإتضاع أمامه وأن تعطيه نفسك متحررة من كل الأشياء الأرضية ، برغبة واحدة فى أعماق قلبك – أن تتحقق إرادة اللّه فيك دائماً وفى كل الأشياء .



٢٠

النفس إذ تتخلى عن إرادتها تستسلم لله

اترك نفسك لله :

✣ ثق فى اللّه يا أخى ، الذى يدعو كل الناس قائلاً «تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين ... وأنا أريحكم» مت ١١ : ٢٨ . واتبع ذلك الصوت الذى يدعوك راجياً مجئ الروح القدس فى نفس الوقت إلى داخلك . غُص بأعين متأملة فى بحر العناية الإلهية والرأفة . دع أمواج إرادة اللّه تحملك بلا مقاومة من إرادتك الخاصة فتحمل سريعاً إلى ميناء الخلاص ومرفأ الكمال المسيحى .

✣ تدرب على هذا مرات عديدة يومياً واطلب الخلوة الخارجية والداخلية على قدر ما تستطيع . كى تركز كل قوى نفسك للتداريب التى لها قوة خاصة فى احداث حب قوى للّه فى قلبك مثل الصلاة وترديد الاسم العذب الذى لربنا ومخلصنا بلا انقطاع أو الدموع التى تنهمر من الحب له أو العبادة الحارة ومعاينتك لاسمه والأعمال الروحية الأخرى .

✢ دع هذه الأعمال تكمل فيك دون جبر أو غصب القلب ، لئلا تجبر نفسك بتداريب اجبارية وتتقسى وتصبح غير قادر على قبول تأثير النعمة . اطلب النصيحة من المختبرين فى هذا الأمر وبمساعدتها اجتهد أن تكسب عادة التأمل فى قداسة اللّه واحساناته العديدة . تقبل باتضاع قطرات الشهد التى تتساقط داخل نفسك من صلاحه الذى لا ينطق به .

التسليم في انتظار الرب :

ولكن لا تلح على اللّه سائلاً هذه الإيضاحات من تحننه ، بل ابقَ متواضعاً فى سكينتك الداخلية منتظراً ارادة اللّه أن تكمل فيك ، وعندما يمنحها لك اللّه دون توتر من جانبك ستختبر عذوبتها ولذتها . **اعلم أن المفتاح الذى يفتح بيت الكنز المخفى للهبات الروحية فى المعرفة والمحبة الإلهية هو الاتضاع وبذل الذات وتسليم النفس للّه كل حين وفى كل شيء** . بنفس المفتاح يغلق باب الجهل والبرودة الروحية .

التسليم فى السكون :

حب بقدر ما تستطيع ويسكون . قف مع مريم عند قدمىّ ربنا يسوع المسيح لتسمع ما يقوله لنفسك .

احترس لئلا يعوقك العدو ولتعلم أن نفسك هى أكثر اعدائك ضد هذه الوقفة المقدسة فى سكون أمام اللّه . عندما تبحث عن اللّه بذهنك لتستريح فى اللّه لا تحدد له أى مكان أو حدود بحسب خيالك الضيق المضل . لأنه غير محدود وهو فى كل مكان وفى كل الأشياء أو بالحرى كل الأشياء منه ، ستجده داخلك ، فى نفسك ، فى كل وقت تطلبه بحق . اللّه نفسه يريد أن يكون معنا نحن البشر ليجعلنا مستحقين له رغم انه غير محتاج إلينا :

التسليم فى القراءة :

عندما تقرأ الكتاب المقدس ، لا تضع فى ذهنك أن تقرأ صفحة بعد صفحة ، ولكن أمعن النظر فى كل كلمة . عندما تجعلك بعض الكلمات تغوص فى أعماق نفسك أو تحثك على الندامة أو تملأ قلبك بفرح وحب روحانى أطل الوقوف عندها . هذا يعنى أن اللّه يقترب منك ، استقبله باتضاع ويقلب مفتوح كما يريدك أن تشاركه . إن كان بسبب هذا لم تكمل فروضك الروحية ، لا تقلق ، لأن الغرض من هذا كما من التداريب الروحية هو أن تستحق أن تشارك الرب . وعندما يحدث هذا فلا مجال للقلق بالنسبة للوسائل بنفس الطريقة عندما تتأمل فى بعض الموضوعات الإلهية لا سيما بعض امثلة من آلام ربما يسوع المسيح . أطل الوقوف عند الجزء الذى يلامس

قلبك، واحفظ انتباهك مدة أطول عليه كى يطول معك هذا الشعور المقدس .

التسليم فى قانون العبادة :

توجد عقبة كبيرة فى سبيل حفظ السلام الداخلى وهى أن تلزم نفسك بقانون ثابت لا يتغير ، فتفرض على نفسك أن تقرأ مزامير كثيرة واصحاحات عديدة من الأناجيل والرسائل . أولئك الذين يضعون لأنفسهم مثل هذه القوانين دائماً مهتمين كى يكملوا قراءتهم ، لا يهم إذا كانت القراءة تمس القلب أم لا ، أو إذا كانت هناك أفكار روحية وتأملات قد ملأت أذهانهم أم لا . وعندما يفشلون فى تكميل القراءة يضطربون ويقلقون ، ليس لأنهم حرموا من الثمرة الروحية للقراءة ، ولكن ببساطة ، لأنهم لم يقرأوا كل ما أقروا أن يقرأوه . استمع إلى ما قاله مار اسحق عن هذا « إن كنت تريد أن تتمتع فى قراءة الآيات وتفهم كلمات الروح التى تتلوها . دع عنك الكمية وعدد الآيات كى ما يمتص عقلك فى دراسة كلمات الروح حتى يمتلئ من الدهش فى الناموس الإلهى وتتحرك نفسك بالمفاهيم السامية عنها ، فتندفع لتسبيح اللّه . العمل بروح العبودية لايجلب سلاماً للذهن والقلق عادة يبعد التمييز والفهم من قوة التذوق كدودة العلق التى تمتص الحياة من الجسم كله مع دم أعضائه » .

إن أردت بإخلاص أن تنتهي حياتك الحاضرة نهاية فاضلة ، لا يكن لك هدف آخر سوى أن تجد أن اللّه أينما اختار أن يعلن نفسه لك . عندما يتوقف هذا الهدف يتوقف كل نشاط آخر فيك ولا يمكن أن تستمر فى طريق اللّه .

التسليم في التداريب الروحية :

انس كل شئ واسترح فى إلهك وحده . عندما يشاء الممجد (اللّه) أن يبتعد عنك ويوقف اقترابه إليك فى فترات حاضرة عليك أن تعود إلى تداريبك الروحية العادية وتستمر فيها ، جاعلاً فى نفسك الهدف ذاته أن تجد حبيبك عن طريقها . وحين تجده مرة أخرى افعل ما قلته . أى توقف حيثما أنت كى تستريح فيه وحده . اعتبر جيداً ما قلته لك . لأن كثيرين عن طريق اهتمامهم بالأعمال الروحية حارمين أنفسهم من ثمار السلام التى تحفظهم ، حرموا من أعمالهم الروحية ، لأنهم فى الواقع خوفاً من الخسارة إن فشلوا فى تكميلها أقنعوا خطأ أن الكمال الروحى فى هذه الأعمال فقط . وهكذا تبعوا إرادتهم الخاصة ، فضيقوا وعذبوا أنفسهم كثيراً . ولكنهم لم ينالوا هدوءاً ولا سلاما داخلياً حيث يسكن اللّه حقاً ويجد راحته فى الإنسان .

٢١

لا تطلب المسرات والتعزيات
إلا من الله وحده

الله هو الفرح الواحد :

انتقِ دائماً الأمور الشاقة والصعبة ، ولا تحب المسرات والراحة التى لا تجلب أى نفع للنفس . ينبغى ان يكون كل عمل تعمله خطوة تقربك الى الله . ولا تقوم بأى عمل يعوقك فى الطريق . ليكن اللّه فرحك الوحيد . هو الحلاوة وكل المشتهيات الأخرى . قدم للّه كل عقبة تقابلها أحبه وسلم كل قلبك له . بالاختصار إن أحببت اللّه . ستنال منه كل بركة لذلك قدم ذاتك بالكلية كذبيحة للّه فى سلام وسكون الروح .

لتكن ارادتك فى الله :

معينك فى هذا الطريق لتتقدم ويزول منك كل ضجر وسجس هو أن تجعل ارادتك فى ارادة اللّه ، بمقدار نجاحك فى هذا غير مستبقٍ أى ارادة لنفسك بمقدار التعزية والقوة التى تحصل عليها . لا تدع ارادتك تتوافق إلا فى أن ترضى اللّه فى كل الأمور . لا ترسم لنفسك خططاً للمستقبل لأنك لا تعلم « **ماذا يلده اليوم** »

(أم ٢٧ : ١) لا تقيد نفسك بل دعها حرة . هذا لا يمنع أى شخص من أن يحرص ويهتم بالأمور المطلوبة حسب حالته ووضعه . طالما هذا الاهتمام يتفق مع إرداة اللّه ولا يتداخل مع السلام الداخلى وتكريس الإنسان ذاته وتقدمه فى الحياة الروحية . فى كل ما تعمله ليكن عزمك ثابتاً أن تعمل كل ما تستطيع ، كل ما تحتاجه ، كل ما تضطر إليه . ولكن لا تكن مختلفاً مع إرادة اللّه واستسلم باتضاع لكل النتائج الخارجية مهما كانت .

الشئ الذى يمكنك أن تعمله دائماً هو أن تقدم إرداتك للّه . لذلك لا ترغب فى شئ أحسن ستتمتع بحرية وسوف لا تربط بأى جانب وتكون دائماً فى سلام مع نفسك وفى ابتهاج حرية الروح هذه التى تحوى البركة العظمى التى تسمع عنها فى كتابات القديسين ، وستحيا فى استقرار فى إنسانك الداخلى دون أى رغبة منبعثة من رعونة داخلية للبحث عن شئ آخر . طالما أنت تحفظ نفسك حراً هكذا ستشارك فى الفرح الإلهى الذى لا يعبر عنه ، الذى لا ينفصل عن ملكوت اللّه داخلنا كما قال الرب « **ملكوت اللّه داخلكم** » لوقا ١٧ : ٢١ .



٣٢

لا تخز عندما ينسحب السلام الداخلى أو يتوقف

الله يسمح بفترات جفاف :

أولئك الذين يتبعون طريق اللّه غالباً ما تمر عليهم أوقات يتوقف فيها السلام المقدس والسكينة الداخلية العذبة والحرية التى أحبوها ، وأحياناً ترفع حركات القلب سحباً من الغبار لا يرى خلالها الطريق الذى يتبعه . عندما يحدث أن يمر عليك شئ من هذا النوع ، اشعر بأن اللّه يسمح بحدوثه لك من أجل فائدتك . هذه هى بالضبط المحاربات التى من أجلها قد كافأ الرب قديسيه بأكاليل نورانية . لذلك لا تفقد شجاعتك فى التجربة التى قابلتها . وكما فى أى شدة أخرى تطلع نحو اللّه وقل له من قلبك «أيها الرب الهى التفت إلى عبدك ولتكن ارادتك فىّ . إننى أعرف وأعترف أن كلماتك حق ثابت ووعودك صادقة ، لذلك أضع كل ثقتى فيها ، وأقف فى طريقك بلا تزعزع ، طوبى للنفس التى تسلم هكذا للرب كل حين وفى كل وقت تجوز فيه فى شدة أو ضيق . إن كان بالرغم من هذا

يستمر الحرب ولا تستطيع أن توفق ارادتك مع إرداة اللّه بالسرعة التى ترجوها لا تحزن وتكل بل استمر فى تسليم ذاتك للّه – واخضع برغبة لمشيئته – وبهذا تنال النصرة . تذكر المعركة التى حاربها ربنا يسوع المسيح فى بستان جثيمانى عندما فزع من تجرع الكأس وصرخ « **يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس** » ولكن بعد ذلك قال بكامل ارادته وباتضاع عميق « **ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت** » مت ٢٦ : ٣٩ .

كيف تتصرف في الشدة :

عندما تكون فى شدة احذر من أن تخطو أى خطوة قبل أن ترفع عينيك نحو ربنا يسوع المسيح المصلوب ستجد مكتوباً هناك بحروف كبيرة كيف تتصرف وإزاء الشدة التى حلّت بك ، اقتدِ به فى ذاتك ليس بالكلام ولكن بالعمل ، أعنى عندما تحس بهجمات حب الذات والاشفاق عليها لا تلتفت إليها ولا تنسحب بجبن من حمل الصليب بل داوم الصلاة واحتمل باتضاع ، تائقاً أن تهزم ارادتك وتكون ثابتاً فى رغبة تنفيذ ارادة اللّه فيك . إن خرجت من صلاتك بهذه النتيجة افرح وابتهج وإن لم تصل إليها اترك نفسك صائمة ، لم تذق طعامها الطبيعى ، حاول أن لا

يسكن فى نفسك شئ ولو لفترة وجيزة ، ما خلا الله وحده . لا تحزن أو تكتئب بأى شئ . لا تحوِّل نظرك إلى شرور الآخرين وللأمثلة الردية . كُن كالطفل الصغير فى براءته كى تحفظ نفسك بلا مضرة .



٢٣

مكائد العدو ضد سلامنا

محاولة تكبير الذات :

عدونا الشرير يفرح عندما تضطرب نفوسنا وتتسجس قلوبنا . لذلك يستعمل كل مكره ليجرب ويعكر نفوسنا . ووسائله فى هذه المحاولات هى أن تثير حب الذات فينا وينتج عن هذا فقدان النعمة التى تخلق وتحفظ السلام الداخلى ، لذلك يوسوس بفكره وهو أن كل ما يظهر صالحاً فينا قد اكتسبناه بجهدنا وكدنا . وبهذا يطرد الإتضاع والبساطة من قلوبنا ويحثنا أن ننظر نظرة عالية لذواتنا ونقيم لأنفسنا وزناً كبيراً ونشعر بأن لنا أهمية عظيمة ، ساتراً فى طى النسيان عمل النعمة الإلهية التى بدونها لا يستطيع أحد أن ينطق اسم اللّه كما اختبر القديس بولس قائلاً « **ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس** » ١ كو ١٢ : ٣ . هذه النعمة تعطى لكل المؤمنين ووجودها علامة على أن الإنسان مؤمن حقيقى . وإذ يقبلها المؤمن لا يعمل ولا يقدر أن يعمل أى شئ صالح فيما بعد إلا بمعونتها . إنها تبقى معه دائماً كقول الرب ، ولا يستطع العدو أن يفعل به

شيئاً ما دامت فيه ومحيطة به . لذلك يحاول العدو وبكل الوسائل الممكنة أن يبعدها عنا . وأول شيء يعمله لهذا الغرض كما قيل أن يبث فينا بذار النعمة الذاتية لنفتكر فى ذواتنا أننا شيء . ومن يقبل هذه الأفكار يقدم له العدو فكرة جديدة كائنة فى أن يتأكد أنه أفضل من آخرين وأكثرغيرة وأكثر غنى بالأعمال من غيره . وإذ ينجح فى غرس هذا الرأى يدفع العدو الشخص المسكين ليدين ويحتقر الآخرين تلك التى تؤدى حتما إلى الكبرياء ، كل هذا يمكن أن يحدث فى القلب فى خلال لحظة واحدة ، ولكن حتى فى هذا الوقت القصير يتناقص عمل النعمة فوراً ، وينتج عن اهتمام الشخص بذاته ، ضعف غيرته وهياج أفكار فارغة فيه وبعد ذلك يرجع إلى نفسه ويمتلئ ندامة وتوبة وعن طريق الصلاة يستعيد التدبير الداخلى المعتاد ويطرد العدو ولكنه (العدو) لا يمل . فيعود مراراً وتكراراً بنفس الوساوس من أجل نفس الغرض ، كى يحطم السلام الداخلى .

اسهروا وصلوا :

فلكي تصد محاولات الشرير هذه ، كن ساهراً على نفسك كقول الرب **« اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة »** مت ٢٦ : ٤١ اسهر على ذاتك بكل حرص لئلا

يقترب منك العدو وينشلك ، حارماً إياك من هذا الكنز العظيم ، الذى هو السلام الداخلى واستقرار النفس . إن العدو يشتاق أن يدمر سلام نفسك ، لأنه يعرف أن النفس المضطربة يسهل قيادها إلى الشر . ولكن عليك أن تسهر على سلامك ، حيث تعلم أن العدو لا يقدر على الدنو إلى نفسك عندما تكون فى سلام لأنها فى ذلك الحين تكون مستعدة لكل عمل صالح برغبة واشتياق وبلا صعوبة تتغلب على العقبات . ولكى تنجح بأكثر سهولة فى ذلك حاول أن ترقب من بعيد اقتراب العدو . **واقتراب العدو هنا هو فكر الأعتداد بالنفس** ، اجعلها قاعدة واضحة بها تعرف اقتراب العدو ذلك عندما يلقى إليك العدو بأى فكر يحاول أن يقلل من اقتناعك أن كل خير يأتى من اللّه وانه يمكنك أن تحرز نجاحاً دون ما حاجة إلى عمل النعمة لنا ، عليك أن تضع كل ثقتك فيه وحده . ينبغى أن تعتبر مثل هذه الأفكار من العدو بوضوح وترفضها بغضب وتطرحها خارجاً حتى تختفى . إن فعل الروح القدس فينا هو فى كل الحالات ليقود نفوسنا نحو اتحاد مع اللّه ويقدم حبه العذب فينا ، مع ثقة مباركة واعتماد ثابت عليه. كل ما هو عكس هذا هو فعل العدو . إن العدو يستخدم

كل الطرق والوسائل التى تقدر أن يخترعها ليسجس النفس وليثبت فى القلب مخاوف مفرطة ويزيد من ضعف النفس، مانعاً إياها من حفظ التدابير الضرورية ومن السرور والانشراح فى الاعتراف والتناول وفى الصلاة ولكى يجعلها تمارس هذه الأمور ليس فى جرأة متواضعة وحب ولكن بخوف وإضطراب : إنه يجعل النفس تتأسف بيأس وألم إزاء فقدان التعزية ومشاعر الجذب الداخلى ، التى تأتى عادة فى أوقات الصلاة أو أثناء التداريب الروحية ، محاولاً اقناع النفس بأن هذا الجذب ليس بسماح من اللّه لأجل خيرها الخاص ، ولكن معناه أن سعى الإنسان ومحاولاته لا تؤدى إلى شئ . والأفضل تركها كلها وبهذا يأتى إلى اليأس والإضطراب بصورة هائلة حتى يؤدى إلى الفكر أن كل ما تعمله هو بلا نفع ولا فائدة ، وأن اللّه قد نسيه وتركه كلية . ولكن واضح أن هذا كذب لأن النفس ربما تختبر جفافاً وجدباً فى المشاعر التقوية والعذوبة الروحانية . ولكن بالرغم من هذا يمكنها أن تكمل كل أنواع الأعمال الصالحة متحركة بإيمان بسيط ومتسلحة بالصبر المقدس والمثابرة .

وللإستزادة كى أساعدك لتفهم كل شئ أضف لنه قد يرى اللّه أنه من الأفيد لصالحك أن يرسل أو يسمح لك

بمثل هذا الجدب فى المشاعر والتعزية الروحية .
وسأصف لك فى الفصول التالية البركات التى تأتى من العبور المتضع الذى تظهره النفوس فى أوقات جفاف وبرودة القلب - كى تتعلم كيف لا تفقد سلام نفسك ، ولا تبتلع من الأسى ، عندما تعانى من هذه الحالة أو من أى تيار فكر مضطرب يحاول أن يفقدك سلامك .



٢٤

السلام الكامل الذى يفوق كل عقل

رغم انى قد تحدثت من قبل فى الفصل السابع عن حرارة القلب وبرودته - والحزن المترتب للنفس من البرودة . أعنى أن هذا الحزن ، وهذا الجفاف فى القلب أو جدب الفرح والعذوبة الروحية ، يفيد النفس أكثر إن قبلنا وتحملنا هذه الأمور باتضاع وصبر . إن كان الإنسان يعرف هذه الفوائد من قبل سوف لا تعتبر بالتأكيد أن هذه الحالة عبء ثقيل أو أمر محزن إن اختبرها . لأنه آنذاك لا ينظر إلى قحط التعزيات الروحية الداخلية كعلامة على غضب الهى ، ولكن سينظر إليه كعمل من أعمال محبة اللّه الخاصة به . وهكذا سيقبلها كرحمة فائقة. حقاً ربما يكون قد نال التعزية . من الحقيقة الواضحة أن هذه الحالات مختبرة من أشخاص تركوا أنفسهم لغيرة عارمة لخدمة اللّه . وتجنبوا بنوع خاص كل الأشياء التى تسيئ إليه - واختبروا هذا ليس فى بداية اقترابهم من اللّه ولكن بعدما عملوا مع اللّه وقتاً طويلاً ،

عندما تنقى قلبهم بدرجة كافية بواسطة الصلاة المقدسة والتوبة . بعدما شعروا بعذوبة روحية خاصة وحرارة وفرح جعلتهم يبذلون نواتهم كلية لله .

وواضح أن هذا يبين أن الشدة شرف وطعام ثمين يتناوله اولئك الذين أحبهم الله ودعاهم وحتى وإن كان مذاقها مراً وقت الأكل ولكنها تعطى لنا فائدة عظيمة غير واضحة الآن لأنه حينما تكون نفس فى هذه الحالة من الجفاف ، عندما تتذوق هذه الشدة وتقاسى التجارب الأفكار التى تجعل الإنسان يرتجف من مجرد تذكرها ، عندما تجد النفس ذاتها فى هذه الحالة هكذا تكتسب اتضاعاً حقيقياً يريده الله لنا أكثر من أى شئ ، حينئذ توحى هذه الحالة إلى النفس برغبة الوصول إلى غيرة حارة لحب الله وانتباه شديد للأفكار وشجاعة أعظم لاحتمال هذه التجارب بلا ضرر . وكنتيجة لهذا النوع من الحرب تصبح « **الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر** » عب ٥ : ١٤ . كما قال القديس بولس. ولكن بما أن هذه الثمار الصالحة مستترة عن رؤية النفس اكرر أنها تتضايق وتهرب من هذه الشدة لأنها لا تريد أن

تحرم من التعزيات الروحية ولو لوقت قصير وتعتبر أن أى ممارسة روحية غير مصاحبة بها مضيعة للوقت وجهداً بلا طائل .



٢٥

كل تجربة مرسلة لأجل فائدتنا

الله يكشف لك عن ضعفك :

كى تفهم جيداً أن كل التجارب على وجه العموم مرسلة لنا من الله لفائدتنا . انتبه لما سأقوله . إن ميل طبيعة الإنسان الفاسدة هو الكبرياء ومحبة المجد الذاتى ، وحب الظهور والتفاخر بالذات كى يتمسك بآرائه وقراراته الخاصة ، ويريد أن كل واحد يعطيه قيمة أكثر مما له وهذا هو الاعتداد بالذات . والفكرة المتعالية عن أنفسنا مضرة جداً جداً فى عملنا الروحى حتى أنه مجرد ظلاً منها كفيل لحرمان الإنسان من بلوغ الكمال الحقيقى . لذلك فإن أبانا المحب السماوى فى تدابيره الحكيمة بالنسبة لنا ، لا سيما بالنسبة لأولئك الذين اودعوا أنفسهم تماماً لخدمته ، يسمح للتجارب أن تهاجمهم كى يجعلهم فى حالة يسهل فيها الهرب من الخطر المخيف خطر الاعتداد بالذات . ونضطر غالباً أن نصل إلى معرفة متواضعة عن حقيقة أنفسنا . لقد فعل الرب هكذا مع الرسول بطرس حين تركه ثلاث مرات كى يتحقق ضعفه ولا يعتمد على نفسه والقديس بولس الرسول له اختبار مماثل ، بعد أن اختطف

إلى السماء الثالثة وكشفت له أسرار الهية لا ينطق بها جعله اللّه يقاسى من تجربة مملة ومضايقة كى يحمل فى نفسه بيان حقارته وتفاهته . وهكذا ينمو فى الإتضاع ولا يفتخر إلا بضعفاته لئلا ينتفخ متكبراً من أجل كثرة الاعلانات التى منحها له اللّه . كما اختبر هو بذاته :

«ولئلا أرتفع بفرط الاعلانات أعطيت شوكة فى الجسد، ملاك الشيطان ليلطمنى لئلا أرتفع » ٢ كو ١٢ : ٧ .

درس فى الإتضاع :

لذلك يسمح اللّه بدافع من حنوه أن تهاجمنا كل أنواع التجارب لأجل هذا الميل الخسيس الدنيىء الذى فينا (وهو أن نفكر فكرة متعالية عن أنفسنا) وأحياناً تكون التجارب مؤلمة جداً حتى إذا ما عرفنا ضعفنا نتواضع . وفى هذا يظهر اللّه حنان محبته وحكمته ، لأنه بإذلالنا واتضاعنا نحصل على أعظم بركة من الأشياء التى تبدو مضرة جداً حيث أن الإتضاع هو اهم الأشياء وأفيدها لأنفسنا . لذلك فإن التجارب تعطى لنا أحياناً لتعلمنا الإتضاع . يتبع هذا أن كل خادم للّه يحدث أن يذوق هذه الحالات : جفاف – نقص المعونة الروحية ، جدب التعزيات الروحية – يختبر هذه الأمور ليتعلم الإتضاع عن طريق

تفكيره بأن هذه حلتّ به من أجل خطاياه الخاصة وأنه لا توجد نفس أخرى مقصرة فى الأشياء ، وفى العمل من أجل اللّه ببرودة شديدة مثل نفسه ، لكى ينكر أن مثل هذه الحالات لا تأتى إلا للمتروكين من اللّه وبالتبعية فهو متروك أيضاً ومتروك عن استحقاق . ومن هذه الأفكار المتضعة يتولد الخير له . الإنسان الذى يفكر فى نفسه أنه شئ هام إذ قد ذاق مرارة الدواء المرسل له من فوق يبدأ فى أن يعتبر نفسه أكثر الناس خطية فى العالم ، وأنه غير مستحق حتى أن يدعى مسيحياً . وحقاً ما كان يصل إلى هذا الرأى عن نفسه ويختبر هذا الإتضاع العميق ما لم يسمح اللّه له بهذه التجارب الخاصة ، وهذا الأسى العظيم وكربة القلب . لذلك فهذه التجارب نعمة كبيرة يظهرها اللّه للنفس ففى هذه الحياة التى تسلم له باتضاع حكيم كى يتداوى بحسب مشيئة (اللّه) وبالأدوية التى يعرفها هو وحده تماماً ويرتأى ضرورة علاج النفس بها ليجعلها فى حالة طبيعية .

ثمار أخرى :

بجانب هذه الفوائد الجليلة للنفس عن طريق هذه التجارب فإن لها ثماراً أخرى كثيرة . فإذ ينسحق قلب الإنسان بهذه الأحمال الداخلية يقوى الإنسان نفسه بغيرة

عنيفة مجدداً العزم أن يركض إلى اللّه ويسأل معونته السريعة ويؤدى باجتهاد كل شئ يرى أنه نافع ليشفى حزن نفسه ويزيل كرب قلبه وليتجنب حدوث هذا الأمر مستقبلاً ، موطداً العزم أن يسلك فيما بعد فى طريق الحياة الروحية ، منتبهاً بشدة لكل حركات القلب والتراخى الذى يبعده عن اللّه ، أو يبعد اللّه عنه بأى طريقة كانت .

الله يخرج من الآكل أكلا :

وهكذا يكون الأسى الذى يعتبره الإنسان مضراً جداً وضد أهدافه ، منخساً يحثه أن يطلب اللّه بحرارة أشد ويتجنب بغيرة متقدة كل الأمور غير الموافقة لإرادته . وبالاختصار فإن كل ما تحتمله النفس من أسى وألم أثناء التجارب الداخلية وجدب التعزيات الروحية والسرور ما هى إلا أدوية منقية يستخدمها اللّه فى حنان حبه كوسائل لتطهير النفس إن احتملتها باتضاع وصبر . وهذه الآلام تعطى لمن يقاسونها بصبر إكليلا لا يعطى إلا بها . ويكون الإكليل أكثر مجداً كلما كانت الآلام أكثر شدة على النفس .

اشكر على كل شئ :

واضح من كل هذا أنه ينبغى علينا أن لا نتضايق أو

نضطرب من أى تجارب تهاجمنا من الخارج أو من الداخل معتبرين أن ما يأتي علينا من اللّه . كأنه من الشيطان أو نأخذ علامات الحب الإلهى كعلامات غضب الهى أو تفسر هباته وعطاياه كضربات وقصاصات حلّت بنا لغضب اللّه علينا ، أو نعتبر أن كل ما عملناه ونعمله بلا نفع وأن خسارتنا لا تعوّض . بل يجب علينا أن نعتقد أن هذه التجارب لا تجلب أى خسارة فى الفضيلة بل على العكس تزيدها بالأكثر وذلك عندما تتقبلها النفس باتضاع وتتحملها بشكر . إن اعتقدنا أن محبة اللّه لنا وعنايته بنا هى التى تدبر هذه التجارب لا نتضايق ولا نفقد سلام القلب بل كل هذه الأمور تجعل نفوسنا تتضع بالأكثر أمام اللّه ، وتعطينا العزم أن نتمم إرادة اللّه فى كل شئ نفعله ونصمم أيضاً أن نجتهد بكل الوسائل وأن نحفظ نواتنا فى هدوء وسلام فى كل الأشياء التى تحل بنا كأنها آتية بسماح من الآب السماوى لأنه سواء أتت تجربة من الشيطان أو من الناس الآخرين بسبب خطايا فهى لم تحدث إلا بسماح من اللّه ، لفائدتنا ولكى يمنع عنا تجارب ربما تكون أعظم خطراً من هذه .



٢٦

لا تضطرب قلوبكم

لا تخف من سلطان الخطية :

إن حدث أنك سقطت فى إحدى التعديات سواء أكان بالقول أو بالفعل . مثلاً إن تعكرت ببعض الأحداث العارضة ، أو سمعت نقداً من الآخرين ، أو دخلت فى جدال حول أمر ما ، أو نفد صبرك فى وقت ما ، أو قلقت أو شككت فى آخرين أو نسيت أمر ما – لا تضطرب بشدة وتبتلع من الحزن المفرط وتيأس فى قلبك لما فعلته . قبل كل شئ عليك أن لا تهول من اضطرابك بأفكار سوداء عن نفسك إنك لا تقدر أن تتحكم لتتحرر من مثل هذه الضعفات . وإن ارادتك ضعيفة جداً ، أو إنك لست متقدماً فى طريق اللّه كما ينبغى لأنك فى كل وقت تعمل هنا وتحمل نفسك الام المخاوف الأخرى الناتجة من اعياء القلب والحزن ، لأنه كنتيجة لهذا ستخزى أن تقف فى حضرة اللّه . وستضيع الوقت فى فحص توانيك وتعدياتك وعما إذا كنت موسوساً لها وبدأت تريدها أم لا وعما إذا كنت ارتضيت بهذه الأفكار أم لا ... وهلم جرا !!

فرق بين ضعف الطبيعة والخطية :

كلما اضطربت فيك نفسك كلما تشتت روحك وكلما أثقل عليك الاعتراف بخطاياك وأصبحت غير راغب فى هذا ، حتى لو ذهبت للاعتراف ، فإنك تقوم بهذا عن اضطراب وخوف وبعد الاعتراف لا تجد سلاماً أيضاً ، لأنه ظهر لك إنك لم تقل كل شئ . وهكذا تعيش فى حياة كربة دائمة الاضطراب ، قليلة الثمار . وتضيع وقتاً طويلا بلا فائدة . كل هذا يحدث لأننا ننسى ضعفنا الطبيعى ويغيب عن بالنا الأشتياق الواجب أن يكون للنفس نحو اللّه . أى أننا ننسى عندما تسقط النفس فى خطية قابلة للغفران عليها أن ترجع للّه بالتوبة المتواضعة والرجاء ولا تأكل ذاتها بالحزن المفرط والغم والضيق . أقول هذا عن الخطايا القابلة للغفران (الهفوات) .

للبادئين في التوبة :

وجهنا الكلام السابق لمن يسلكون فى حياة روحية تواقين للنمو فيها ، باذلين كل جهد لتحاشى الخطايا . أما أولئك الذين لا يسلكون حياة التدقيق ، بل يعيشون كيفما اتفق ولا يضطربون حتى لو أساءوا إلى اللّه بخطايا صعبة.

لهم نصيحة أخرى . فإن الدواء المذكور سابقاً ليس

لهم، عليهم أن يحزنوا جداً ، وينوحوا بشدة ، يفحصوا ذواتهم بكل تدقيق وينقوا ضمائرهم ويعترفوا بكل خطاياهم بلا اشفاق على ذواتهم ، ويجب ألا يهملوا أى وسيلة لشفائهم وخلاصهم .

ينبغى أن تكون التوبة من التعديات اليومية الصغيرة (الهفوات) مفعمة بثقة ثابتة فى الله وينبغى أن تكون مفعمة وبصورة أكبر وذلك بالنسبة للخطايا المحزنة التى يسقط فيها حتى خدام الله الغيورين أحياناً . لأن توبة الكآبة والغم التى تجعل القلب يضطرب ويجزع لا يمكنها أن تثبت رجاء فى النفس إن لم يصاحبها ثقة فى وجود الله ومراحمه . هذه الثقة ينبغى أن تملأ القلب دائماً بالرغبة فى بلوغ أعلى درجات الكمال المسيحى . إنها تنشط وترتب كل قوى النفس والروح . ولكن كثيرين من الذين دخلوا طريق الحياة الروحية ، لم يلتفتوا إلى هذا ، وهكذا توقفوا عن تقدمهم بضعف القلب ولم يتحركوا نحو الأمام ، وهكذا صاروا غير مناسبين لقبول بركات النعمة التى يغدقها الله على السائرين فى هذا الطريق ، أولئك الذين لم يتراخوا فى محاولاتهم إنما يتحركون بثبات من قوة إلى قوة . ولكن قبل كل شئ على أولئك

الذين يعرضوا لمثل هذه الأمور أن يتوجهوا إلى أبيهم الروحى أو إلى شخص مختبر فى الحياة الروحية لينتفعوا بإرشاداته ، وفى نفس الوقت يثقون تماماً وهم يسألون الله أن يكشف الحقيقة لهم ويعطيهم دواء ناجعاً لكل مضايقاتهم واضطراباتهم . وإذ ذاك يستريح الإنسان كلية من هذه المضايقات ويعود إليه سلامه وعزاؤه .



٢٧

استعادة سلام القلب سريعاً

الرجوع بسرعة :

فى كل وقت تسقط فى هفوة من الهفوات ، حتى لو حدث ألف مرة فى اليوم ، بمجرد أن تلاحظه لا تضايق نفسك وتضيع وقتك بلا طائل . بل تواضع فوراً ، واشعر بضعفك ، ارجع إلى اللّه برجاء ، وادعه من أعماق قلبك .

« أيها الرب الهى ! لقد فعلت هذا لأنى كما أنا ولا تتوقع أى شئ فىّ سوى هذه التعديات بل أردأ منها ، إن تركتنى نعمتك وحدى بلا معونة وتركت نفسى . إننى حزين لما فعلت خصوصاً لأنى لم استجب بحياتى لعنايتك بى بل إنى أسقط وأسقط . سامحنى وأعطنى القوة أن لا أسئ إليك مرة أخرى وبالأخص أن لا أحيد عن إرداتك . لأنى أريد بكل اشتياق أن أعمل لأجلك ، لأرضيك وأطيعك فى كل شئ » .

وبعد أن تصلى بهذا لا تضايق نفسك بالأفكار عما إذا كان اللّه سامحك أم لا ، وثق أن الرب قريب ويصغى لتنهدات عبيده . ولذلك هدئ نفسك . وإذا استعدت هدوءك استمر فى أعمالك العادية كأن شيئاً لم يحدث .

عليك أن تعمل هذا ليس مرة واحدة بل اعمله بكثرة وبنفس الثقة الكاملة تماماً كأول مرة .

اللّه يحب أن تنظر إليه فى محبته ورحمته لنا ، هذه المحبة وهذه الرحمة التى بلا حدود ، حينئذ سيكون تقدمك مستمراً ، وتتحرك إلى الأمام باستمرار ، بدون ضياع وقت أو جهد .

إليك طريقة أخرى لحماية سلامك الداخلى حينما ترزح تحت عبء هذه التعديات هى هذه ، امزج الفعل الداخلى لتحقيق عدم استحقاقك واتضاعك أمام اللّه ، مع تذكر حار لمراحمه العظيمة التى بيَّنها لك اللّه شخصياً . وهكذا تحيي حبك له ، أثّر فى نفسك رغبة أن تشكره وتمجده ، حينئذ تشكره وتمجده بحرارة من أعماق نفسك . حيث أن الشكر والتمجيد هما أسمى تعبير عن اتحادنا الحى باللّه .

حاول أن تستفيد من سقطتك ، اجعلها ارتفاعاً أعلى نحو جلاله . ليكن هذا فى ذهن أولئك الذين يضطربون ويتسجسون جداً من التعديات التى يسقطون فيها لتريهم مقدار خطأهم فى هذا الأمر وكم أنوا انفسهم بحكمهم الضيق .

لذلك فجدير بهم حقاً أن نوجه إليهم هذه النصيحة إنها

تضع فى أيدينا المفتاح الذى به تقدر النفس أن تفتح بيت كنز الروح العظيم ، ويمكنها فى وقت قصير ان تكون غنية بنعمة ربنا يسوع المسيح ...

هذا الذى له المجد والكرامة والسجود مع أبيه الذى لا بداية له الآن وكل أوان وإلى الأبد . آمين ،



هذا هو الكتاب الرابع من المحاربات الروحية (الباب الثانى)
وقد سبق صدور ثلاثة كتب أخرى منها (الباب الأول) اجتهد
أن تجعلها فى مجلد واحد فى مكتبتك الروحية

أودع بدار الكتب تحت رقم ١٤٦١ لسنة ١٩٦٩

تطلب من مكتبة كنيسة مارجرجس باسبورتنج - الاسكندرية
تليفون : ٠٣/٥٩١٩٨٨٨ - فاكس : ٠٣/٥٩٠٢٨٨٨
stgeorge@dataxprs.com.eg

